د. سمير سليمان

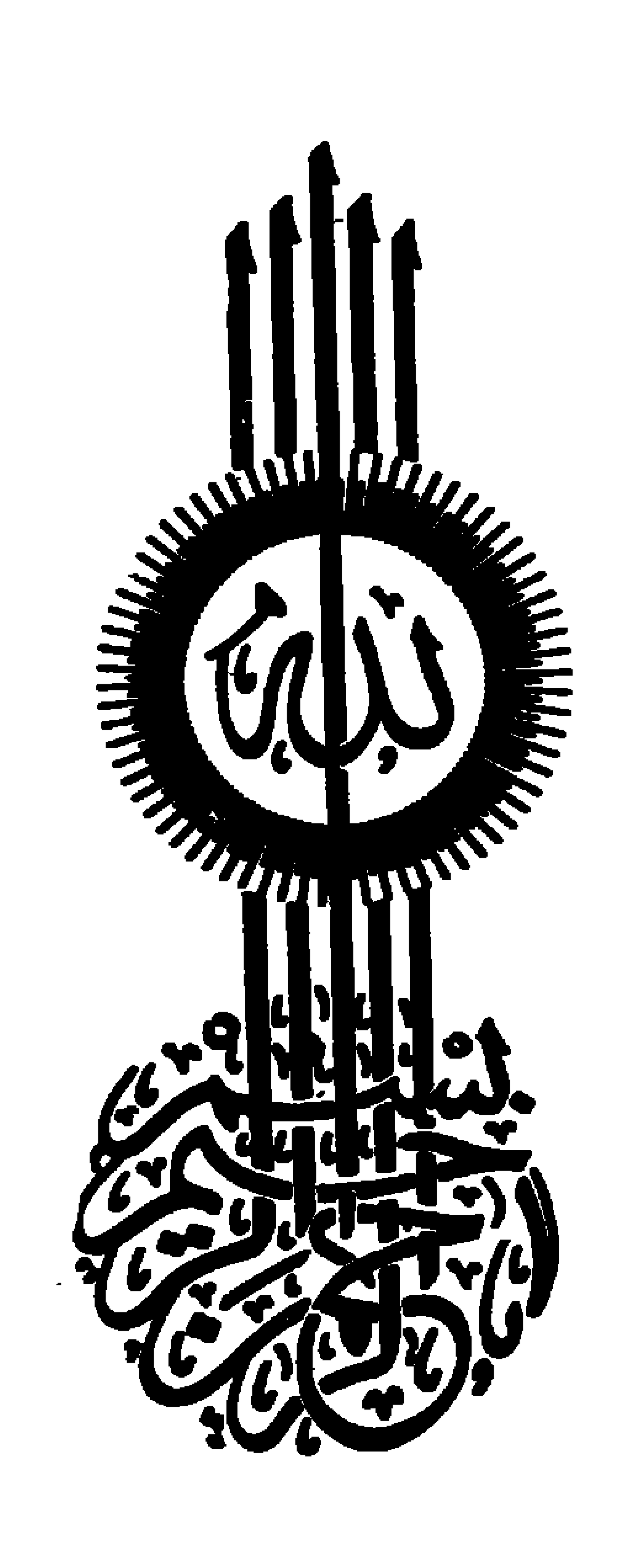
الإمام الخميني
والمشروع الحضاري الإسلامي



دار الوسيلة
للطباعة والنشر والتوزيع

الإمام الخميني

والمشروع الحضاري الإسلامي



الإمام الخميني

والمشروع الحضاري الإسلامي

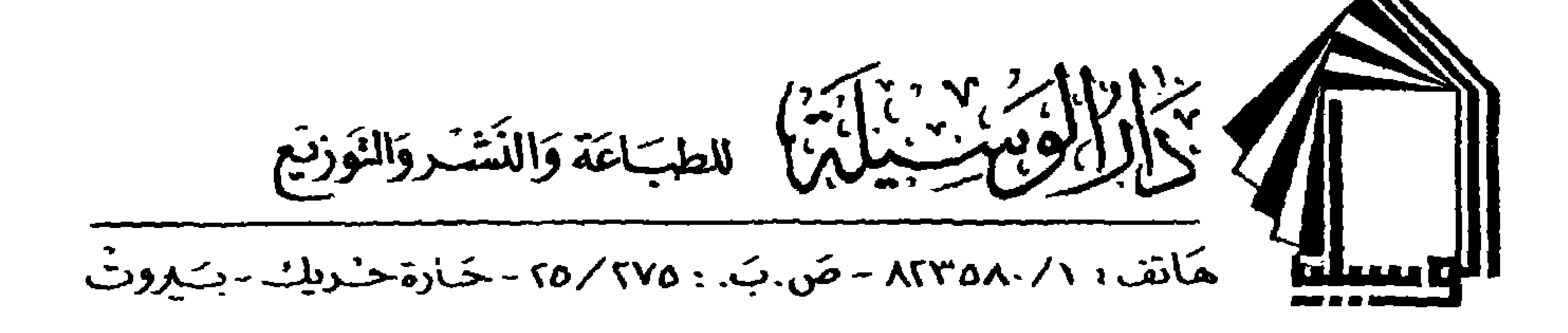
د. سمير سليمان

دار الوسيلة
للطباعة والنشر والتوزيع

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



من مقدمة ناشر الطبعة الأولى

« الأستاذ الدكتور سمير سليمان ـ ودونما مبالغة ـ ذو فكر ثوري حي ، وهدف واضح ، وإصرار على السير بكل حب ووله نحو الهدف .

ومن هنا نجده يعشق الإمام الخميني الراحل (رض) ، لأنه ذاب في ذات الهدف ، وبذل كل وجوده له ، فكأنه هُوَ هُوَ .

وهذه دراسة ممتعة للأستاذ الدكتور سليمان في جانب إنساني من جوانب فكر الإمام ، وكل فكره إنساني ، بعيدة النظر والغور .

فَلْنَعِشْ ـ إذن ـ مع هذا الجانب بكل أبعاده وغوره .

والله الموفّق . . .

معاونية العلاقات الدولية
فـــي
منظمة الاعلام الإسلامي

« إن المدخل الأساس لفهم متكامل لأبعاد شخصية الإمام الخميني لا يكمن في الإستعراض التراتبي لمراحل حياته من الولادة حتى الوفاة ، وانما يكمن في استكناه إنجازه والتبصر بمنهاجه .

ذلك أن أنسب أرض قادرة على استجماع خصائص شخصية القائد الراحل تكمن في التطلع إلى نهضته والتمعن بها نصاً ومنهاجاً وإنجازاً . . .

وفي المقابل أتاح التوفيق الإلٰهي ، والإستعدادات التي حملتها شخصية الإمام الراحل ، فرصة كبيرة لأن يتحول سماحته إلى رجل نهضوي . . . فدار جهده من التوعية والتحريك إلى الثورة وبناء الدولة ، ثم خوض تجربة المواجهة في السعي لتثبيت النموذج في الداخل وتعميمه في الخارج .

وبذلك نعتقد ان أهم الكتابات عن الإمام هي تلك التي استلهمت هذا الجانب وعبرت عنه . وإذا كانت ثمة رغبة في أن ينفتح العالم الإسلامي على هذه الشخصية التجديدية ويستفيد منها ، فليس أمامه إلاّ التعرف على نهضتها واكتشاف منهجها .

لذلك وجدنا عندما دققنا في دراسة ما صدر عن الإمام في الذكرى السنوية لرحيله ، وكذلك ما صدر عنه بشكل عام ، أن من بين أفضل الدراسات ، هي تلك الفصول التي كتبها من لبنان الدكتور سمير سليمان بعنوان « الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي ـ قراءة في خطاب الصراع والإستنهاض . . . . » .

جريدة « كيهان العربي » ـ طهران ،
العدد ٢٢٩٧ ـ السنة الثانية عشرة ـ
١٣ حزيران ١٩٩٢

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

في تجارب كتابة سابقة كتبنا في قضايا حضارة الإنسان عموماً ، وحضارة الإسلام خصوصاً ، لم نجد في معاناة الكتابة وأوجاعها وهمومها ، أصعب مما عانيناه هذه المرة الأولى التي كتبنا فيها عن الإمام ، وهي ـ في كل حال ـ متأخرةٌ ، تمنيناها متقدمةً لو سمحت ظروفنا وأعانت . . . وقد كان يخيل إلينا قبل مباشرة فعل الكتابة أن الأمرَ في الإمام ـ رضوان الله عليه ـ سيكون سهلاً لسببين :

أولهما : تماسُّنا الزمني المباشر مع عصر الإمام ، ومعايشتُنا ، أو اقترابُنا ، مما عاشه من أحداث معاصرة وحديثة في شتى الشؤون والميادين .

وثانيهما : السهولة النسبية لنصوص الخطاب الحضاري للإمام ـ عدا عرفانه ـ ، فتبدو ، للوهلة الأولى ، ونظراً لتوجهها الجماهيري عموماً ، وكأنها بسيطة المأخذ ، سلسة الإنقياد ، هيِّنة المنال ، مطواعة لتحريك فعل الكتابة عن صاحبها ، لا حَرونٌ ولا عَصِيَّة . .

وكانت المفاجأة بسقوط السببين سقوط الوهم أمام الحقيقة الشاخصة . . . ولسنا ندري بعدُ إذا كنا وجدنا بين من كتبوا في الإمام مَنْ أُسْقِطَ

في يده ، فشعر بإحباط وحزنٍ مَرِيْرَيْن بفشل بعض المحاولات الأولى . .

ولا نعلم ما إذا كان وراء الصعوبة تلك بعضُ ، أو كُلُّ الأسباب التالية :

أ ـ ضخامة الخزين الفكري والثقافي والفلسفي والأصولي الذي ضمه الإمام بين جانحَيْه .

ب ـ كثافة ودقة الموضوعات والمفاهيم التي انطلق منها ، أو تصدى لإنارتها وطرحها .

جـ ـ جسامة المسؤوليات التي اضطلع بها ، وكثرةُ الأنشطة التي تحرك ، وَحَرَّكها على صعد شتى ومستويات مختلفة ، وذلك بين طَمْي البِدَع والتزييف والتخلف والجهل والجهالة .

د ـ فَرادَة الرؤية التي اعتمدها والخيارات التي اختارها ، وقد كانت كالأحلام المستحيلة والأضغاث .

وكيف لا تكون مسيرة الانبعاث من كل شيء ، على كل شيء ، إلى كل شيء ، إلاّ كَـأداءَ ، محفوفةً بالمخاطر واللجب من المكاره والمحظورات ، والعدو كثير ومَزَوَّدٌ بكل قوى وأدوات الإعتراض والتخريب والإزهاق التقليدية أو المتطورة ، وإلاّ مشروطةً باهتداء خاص ، وعلم خاص ، وحكمةٍ وجراءةٍ خاصتين ؟ .

هـ ـ أنَّ الباحث في فكر الإمام يواجه إشكاليةً مُرَكَّبَةً قَوامُها : أنَّ هذا الفكر ليس شخصياً في أصله ومبدئه ، كما الحالُ في أفكار المفكرين غير الإلهيين ، لأنه صادر عن التّنزل الإلٰهي ومنصهرٌ فيه . فالإلهي هو المبدأ والأصل ، وهو المعادُ أيضاً ، وأما البشريُّ فهو الإمام المهتدي بالإلهي ، المُبَيِّنُ له ، والهادي إليه ، والحجةُ فيه على الناس ، والقيِّم العالِمُ بحلاله وحرامه . . أي أنَّ البشريَّ هنا محمولٌ على السماوي المطلق ، كأكملِ ما يَحْمِلُ الإنسانيُّ الإلٰهيَّ الكامل .

لذلك يجد الباحث نفسه أمام صعوبة من نمط خاص في الكتابة عن هذا

التوحُّدِ المزدوج والمتكامل بين الأصل والمبدأ وبين امتداداتهما في الحضور الفكري للهادي إليهما .

وإلى هذا وذاك ، فقد تميز خطاب الاستنهاض الخميني بكسره وتيرة أنماط الإستنهاض « التقليدية » أو الجزئية التي أَلِفَها الناس في بلاد المسلمين خصوصاً ، وفي العالم كله عموماً ، عندما أعاد طرح كل قضايا نهضة الإنسان من جديد بمعايير إسلامية ومن خلال خطة شمولية كبرى تجاوز فيها كل المحاولات التي سبقته ، وخصوصاً على مستوى الفقه السياسي الشيعي ، والفقه الإسلامي عموماً . وذلك بالرغم من استيعابه أيما استيعاب تجارب الفقهاء والمراجع الكبار الذين سبقوه داخل إيران وفي النجف الأشرف(*)(1) ،

(*) من الإشارات الملفتة في مجال الحديث عن ثورتي التنباك والدستور في إيران أن السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) كان له دور كبير فيهما .
ـ راجع : (م . ن) ص/٢٥ ـ ٢٦ .

(1) لا ريب في أن التشيع هو رحم وربيب أكثر وأهم الحركات الثورية على مدى التاريخ الإسلامي . فمنه أو من أطرافه استمر هذا التاريخ يتصدع عن انتفاضات وثورات إسلامية بشعارات وبرامج وأساليب مختلفة . لكننا نشير هنا ، على سبيل المثال لا الحصر ، إلى بعض المحاولات الثورية البارزة في الأزمنة المتأخرة ومنها :
ـ ثورة التنباك في إيران سنة ١٨٩٥م بقيادة علماء الدين وعلى رأسهم الزعيم الكبير الحاج ميرزا حسن الشيرازي الذي قاد الثورة إلى النصر . وهي قامت ضد الإستعمار البريطاني وانتهت بالغاء امتياز احتكار التنباك في إيران ، كما أنهت الدكتاتورية الداخلية والإستعمار الخارجي فيها .
ـ ثورة الدستور في إيران عام ١٩٠٥م ضد دكتاتورية الحكام الإيرانيين ، وقد انتهت إلى نظام ملكي دستوري وقد قادها في الدرجة الأولى الأخوند ملا محمد كاظم الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني ، وهما من المراجع الشيعية في النجف الأشرف ، كما شارك في قيادتها من داخل إيران السيد عبدالله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي .
كما حدثت في إيران انتفاضات شعبية كثيرة بقيادة رجال الدين ومنها : انتفاضة أصفهان ، وانتفاضة تبريز ، وانتفاضة مشهد ، وقد لعب المجتهد الكبير الحاج آقا حسين القمي دوراً هاماً في الإنتفاضة الأخيرة . . . .
ـ ثورة العشرين في العراق ضد الوصاية البريطانية ، وقد انتهت باستقلال العراق . =

وفي أماكن أخرى من العالم الإسلامي ، مما يتطلب بذاته بحثاً مستقلاً كاملاً . فمن الثابت أنه لم توجد في أي بلد إسلامي نهضة عميقة وواسعة كالثورة الإسلامية الإيرانية »[٢] التي جاءت رائدة في ماهيتها ، وفي أهدافها ، وفي مشروعها ، وفي قيادتها ، وفي جماهيريتها ، وفي شموليتها . . وحتى في مشاكلها .

إن هذا التجديد الفكري والفقهي والأسلوبي المنقطع النظير ، يضيف إلى هموم الباحث الأخرى هماً جديداً يتعلق بفرادة الخطاب الإستنهاضي الخميني ، وبخصوصية تجربته وريادتها .

و ـ أن من يتصدى للكتابة عن فكر إمام بهذه القدرات ، لا ينبغي أن يُسْقط من حسابه قطُّ ، أنه إنما يكتب عن أكمل شخصية إسلامية في هذا العصر ، بل عن أكمل شخصية بعد الأئمة . مما يستدعي في الكاتب جهوداً استثنائية تتناسب مع استثنائية المكتوب عنه ، وحضوره القدسي .

ز ـ من الملاحظ في الكتابة عن فكر الآخرين ، وجودُ صوتين متمايزين في النص : صوتِ المكتوب عنه ، وصوت الكاتب . وقد يتلاقى هذان الصوتان ، وقد يتقاطعان ، وقد يفترقان . . وغالباً ما يكون صوت الكاتب أعلى من صوت المكتوب عنه .

أما الكتابة في الإمام فهي عندنا خارج هذه الإيماءات . لأن خطاب الإمام ، بما هو « خطاب » الإسلام ، يجرف النص المكتوب عنه بفيوضاته ، ويغرقه في أبعاده .

= ـ كما عرف التشيع علماء إصلاحيين كباراً في مقدمتهم : آية الله البروجردي ، والعلّامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، والعلّامة السيد محسن الأمين العاملي والعلّامة السيد حسين شرف الدين العاملي ، والعلّامة النائيني . . . الخ .

أنظر :

ـ المطهري ، مرتضى ـ « الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري » ـ الترجمة العربية ـ ص/٦٢ ـ ٦٦ .

(٢) (م . ن) ـ ص/٦٨ .

إنه لا يترك للكاتب فرصة لاصطناع مسافة كتابية « عقلانية » بينه وبينه . . فإمَّا أنْ يتوحد الكاتب في هذا الخطاب فيَكتب عنه من داخله ، بما هو فيه ومنه ، فهو المحيط ، والكاتب هو المُحاط ، وإما أن تتخذ الكتابة بعداً آخر . . . لعله أشبه بكتابة الغربة عن روح الأصل ، أو بكتابة الإفتعال . . أو ـ ربما ـ اللاكتابة .

حـ ـ لبضع سنين خَلَتْ ، كان الإمام لا يزال حَيَّ الجسد ، يملأ الدنيا ويشغل الناس في العالم كله . . والكتابة عن فكرٍ حَيٍّ ، قد تكون حافز امتناع وتَرَدُّد ، وقد استكان أكثر الباحثين إلى عُرفٍ وتقليدٍ مَسْتَغْرَبَيْن يقولون بعدم الكتابة عن الأحياء ! ولو صح ذلك فيهم في حياة الإمام ، فما بالهم اليوم وقد بات الإمام في نطاق عرفهم وتقليدهم ولم يعد في هذا العالم ! . .

أيكون تقصير المفكرين والباحثين في الكتابة عن فكر الإمام الخميني ـ كمّاً ونوعاً ـ مردوداً إلى هذه الأسباب كلِّها ، أو إلى بعضها ؟ أَمْ أن الإمام بعد انتقاله إلى رحمة ربه ، قد انضمَّ إلى أئمة المسلمين الآخرين الذين ظلمناهم بتقصيرنا في إيفائهم بعض ما لهم ، عندما لم نخصص فكرهم بما يستحقه من الإهتمام والدرس والإظهار والإحياء ؟!

أما نحن فَأَمْيَلُ في تفسير ظاهرة الصعوبة تلك ، إلى الأسباب السبعة الأولى ، لا إلى السبب الأخير .

* * * * *

تحت أثقال الظاهرة المنوه بها ، وُلِدَتْ دراستنا قراءةً حضاريةً أَوَّلِيَّةً لخطاب الإمام الإستنهاضي الصراعي قبل انتصار الثورة الإسلامية ، من خلال نصوصه المترجمة إلى اللغة العربية ، والتي تعود إلى تلك الحقبة ، أي ما بين انتفاضة حزيران في قم المقدسة سنة ١٩٦٣م (انتفاضة ١٥ خرداد) وشباط ١٩٧٩م ، ومن خلال النصوص التي تَحَدَّثَتْ عنها بعد تحقيق الإنتصار ، بحيث نقرأ منهج حركة الإمام الاستنهاضية إنطلاقاً من كونها :

١ ـ نموذجاً حضارياً إسلامياً منبثقاً من صلب الصراع الحضاري بين حضارتين : حضارة الحق والتوحيد ، وحضارة الطاغوت والباطل والتضليل .

٢ ـ نموذجاً لفعل الإستنهاض الإسلامي الحامل للمشروع الحضاري الإلهي للعالم كله ، بمبادئه وقيمه وأهدافه ، وبجهوزيته للتطبيق لخير الإنسانية جمعاء .

٣ ـ تَمَثُّلاً لمنهج الأنبياء والرسل والأئمة في التبليغ والدعوة إلى رسالة السماء وإقامة حكم الله في الأرض ، بشريعته وأحكامه ونظامه الإجرائي التنفيذي .

٤ ـ إحياءً للأمة وجهاداً لتوحيدها بإعادة ارتباطها بأصولها الحضارية وثقافتها وتاريخها وأهدافها ، ولإعادة بعث التزامها بتكليفها الإلهي بما هي خير أمة أخرجت للناس ، واسترداد عافيتها الجهادية على مستوى مؤسساتها ومجامعها العلمية الدينية وقواعد التحامها الروحي والثقافي والإجتماعي والسياسي بمشروعها الحضاري .

والإمام ، في ذلك كله ، عقلٌ استراتيجي إسلامي كبير ، وأنموذج اقتداء وهداية ، ومرجعٌ فقهي ثوري ، وآيةٌ من آيات الله في خلقه ، من طينة أوصياء الرسل ، أنبتت ذُخراً سرعان ما صَدَّع الأرض بغاية من العاملين الهُداة ، وأرست في التاريخ المعاصر معادلة جديدة كان لها ، وسيكون ، أيما تأثير على البنى التكوينية لنظام عالمي جديد لم يتخذ بعد هوية واضحة المعالم ، وعلى مستقبله .

قال تعالى : ﴿وممَّن خَلَقْنَا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾[٣] ، ﴿فَمَنْ يَكفرْ بالطاغوت ويؤمِنْ بالله فقد اسْتَمْسَكَ بالعروة الوثقى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليم﴾[٤] .

* * * * *

---

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٨١ .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

يبقى أن نشير في ختام هذا التمهيد إلى أن قراءتنا لخطاب الإمام الخميني ليست سوى محاولة تحليلية لمجمل نصوص هذا الخطاب ، مستندة إلى محصلة الموضوعات والقضايا والأفكار المتعددة التي شكلت مشروع الاستنهاض وشؤونه وتداعياته بكليتها في مرحلة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية ، وذلك بعيداً عن أي تدخل غير تحليلي أو غير تنظيمي من قِبَلنا ، بحيث « استنفدنا » ما أمكننا من جهود في استنطاق الخطاب ، وفي إنطاقه ، بجعله يتموج في مساحات خياراته الخاصة ، حتى ونحن نمعن فيه تفكيكاً وتركيباً . فلم نطرح ما لم يطرحْهُ ، ولم نُثِرْ من الإشكالات المنهجية والفلسفية والكلامية والسياسية ما لم يُثِرْ ، ولم نُسْقِطْ هموم ما قبل التجربة وما بعدها على التجربة ذاتها إلاّ في حدود ما انْتَقَتْهُ بنفسها منها ، فنثقلها ، بهذه وتلك ، بالهواجس الغريبة عن عالمها ، أو التي لم تعتبرها واجبة الوجود فتثقل عليها . وقد بذلنا أقصى الأمانة العلمية المتاحة للحفاظ على روح الخطاب وأصالة دلالاته ومدلولاته وحرمة انتظام بنيانه الفكري .

وإذا كنا قد استخدمنا في سياق بحثنا مصطلحات لم يستخدمها الإمام نفسه ، فذلك لا يعدو كونه تدخلاً ضرورياً أملته دواعي تسييل الخطاب في سياق تحليلي ملائم وإعادة تركيب بنيوية مُوازِيَيْن لطبيعة وماهية النصوص المكتوب عنها ، وذلك دون مساس لا بجوهر المفاهيم ولا بالتفاصيل التي طرحها صاحب الخطاب ، مع مراعاتنا المستمرة لالتزام التوحد فيه الذي ألمحنا إليه آنفاً ، أي مبدأ الكتابة من داخله . .

أما عن العلاقة « النفسية » بيننا وبين خطاب الإمام ، أو بين الكاتب والمكتوب عنه ، فهي قائمة عندنا بأعلى صوت علمي . . ولا ريب في أن أسوأ الكتابة هي تلك التي تدعي القطيعة النفسية بينها وبين ما تكتب عنه . .

* * * * *

القسم الاول

الفصل الاول

الحضارة والنموذج الحضاري

تاسيس في المصطلح والمنهج .

تاريخ الحضارات وصراع النموذجين .

الحضارة والنموذج الحضاري/ تأسيس في المصطلح والمنهج :

ما اخْتُلِفَ في مصطلح يقول تاريخ كيان أمة وحضورَها في هذا العالم وتَوْقَها إلى ما يتجاوز حدود واقعها ، كالإختلاف في مصطلح « الحضارة » . نظراً لصعوبة تحديده ، وقابليته لاحتضان الكثير من الدلالات .

وفي الإختلاف كان ابتعاد ، أو مقاربة ، أو معاقبة ، أو ارتداد . ولكنْ ، في كل مرة ، يصيب القارىء أو الدارس قبالَ المصطلح اضطراب ، بل قلق ، مؤقت أو مُستديم ، حتى يَعْبُرَ في نص المصطلح ومتنه مدة تطول أو تقصر ، قُبَيْلَ أو بَعْدَ أن يطويه ، مما يؤثر في مسار الإستفادة ، أو يربكه ، أو ينسخه ـ أحياناً ـ إلى سوء منهم . خصوصاً وأن مستَخْدِمِي المصطلح . قلما يحدسون بإمكانية وقوع هذا النوع من الإضطراب ، فلا يُردفون استخدامهم بإيضاح أو تفسير أو جلاء قصد .

وحتى لا نَسْقُط ، أو نُسْقِط ، فيما نُنَبِّهُ إليه ، رأينا ضرورة التعريف بما يقنعنا في مصطلح « الحضارة » فاعتمدناه في سياق هذا النص .

« الحضارة » ـ عندنا ـ تَبَصُّرٌ بالغايات[1] ، باعتبار الغايات ـ إسلامياً ـ

---

(١) راجع : سليمان ، سمير ـ « الأندلس والغرب ـ صراع النموذجين الحضاريين وبدايات :

موجِّهةً لحركة الإنسان وفكره وعلمه وأفعاله ووسائله[٢] ، بحيث لا تنفصل الغاية عن وسيلتها . والحضارة ـ بتعبير آخر ـ هي منهج معرفة وفهم الأمة للوجود والطبيعة ، وعلاقتهما بالإنسان ، ولعلاقات البشر ، ولعلاقة ذلك كله بالغيب . وهي بالتالي مُنْبَثَقُ أخلاقهم ونظامُ قيمهم ومَثَلُهم الأعلى الذي يرتقون إليه ويتكاملون فيه ، وهي أيضاً منهج رؤيتهم للتاريخ والمستقبل والمصير . وهذا يعني أن الحضارة منهج فكري واصل بالنتيجة إلى أنواع أو أنماط ومواقفَ سلوكيةٍ إنسانية تحاكي واقعاً محدداً ، ومثلاً عليا معينة[٣] . إنها بمعنى مختصر « كيان الأمة الفكري »[٤] ، وعلَلُه ومصادرُه ، وتجلياته في القول والعمل والتطلعات ، ومعايير محاكمته للأشياء وعلاقات الناس والعالم .

من « اصطلاح المصطلح » هذا ، نَدْلِفُ إلى مصطلح توليدي هو « النموذج الحضاري » ، ونعني به :

بمفهوم أول : المظاهر الحضارية التي تُشَكِّلُ ، مفردةً أو مجتمعةً ، عَيِّنَةً تختصر الملامح المشتركة الأساسية ، أو البنيوية للأمة ، وتعبر عنها ، بحيث نقرأ الكل عبر الجزء بما هو زاوية كاشفة من زوايا رؤيته .

وبمفهوم ثانٍ : يَتَّخِذُ النموذج الحضاري بعداً آخر ، إذْ يُعَبَّرُ به عن مفهوم الحضارة ذاته[٥] عندما يتعلق الأمر بمجموعة حضارات مختلفة في أصولها وأسسها ومُكَوِّناتها . فتصبح ، كل حضارة منها عبارة عن نموذج حضاري خاص ، بما هو فرع من دوحة حضارات الإنسان على مر التاريخ . أيْ أن

= الإستشراق » ـ ص/١٨ ـ مجلة « العرفان » ـ بيروت ـ العدد ٥/٦ ـ ١٩٨٦ .

(٢) الخميني الإمام روح الله ـ « مختارات من أقوال الإمام الخميني » ـ الترجمة العربية ـ الجزء/٣ ـ ص/٢٩ .

(٣) أنظر نظرية المثل العليا عند الأمم في :

ـ الصدر ، محمد باقر ـ « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » ـ ص/١٣٣ وما بعدها .

(٤) صدِّيقي ، عبد الحليم ـ « تفسير التاريخ » ـ الترجمة العربية ـ ص/٢٣ .

(٥) GARAUDY, Roger - «Appelaux vivants» - p.20.

النموذج الحضاري هنا لم يعد جزءاً أو تعبيراً أو مظهراً ، انما أصبح مُرادفاً لهذه الحضارة بكلِّيتها ومعادلاً لها .

في ضوء هذين التوضيحين تكون الحضارة الإسلامية نسيج الإسلام ، فهو مبدأها وروحها وواضع مثلها الأعلى ، ومنهج نظرتها إلى الإلهي والكون والحياة ، وهو مشروع حياة ناسها ونظامهم الإجتماعي والروحي والسياسي ، وهو نبض ثقافتهم ومدنيتهم . وفي هذا المدى يصبح الإسلام كيان الحضارة الإسلامية ووحدة أجزائها وظواهرها . فالحضارة « ليست مكاناً يكدَّس فيه حشدُ من الظواهر الحضارية تكديساً تكون فيه الواحدة بجنب الأخرى وليس بينهما علاقة ، وانما هي الحضارة التي تمثل وحدة وكياناً مستقلاً يتغلغل في أجزائه المختلفة مبدأ أساسي واحد »[٦] وتُحَفِّزُه مثل عليا واحدة . بهذه المعاني تغدو الحضارة مشروعاً حضارياً ، ويغدو المشروع الحضاري الإسلامي إيديولوجية شاملة لجميع مجالات الحياة والفكر والوجود الإنساني . أي أنه يقدم رؤية متميزة للعالم ويعرفه معرفة خاصة به ، وأن له نظامه الأخلاقي الخاص ، ونظامه الإجتماعي الخاص ، وأن له أيضاً فلسفة للتاريخ ونظرة للمستقبل خاصتين ومفهوماً خاصاً للإنسان يدعو له ويسعى إلى الإقناع به . وبالتالي فإن هذا المشروع متضمن نظرة خاصة للعالم والفرد والمجتمع في شتى الشؤون .

أما في مفهوم « النموذج الحضاري » الأول ، فتكون الدولة الإسلامية ـ مثلاً ـ تعبيراً أصلياً عن الإسلام المتصدي لمسألة تنفيذ الشرائع والقوانين التي قررتها المشيئة الإلٰهية لإدارة وتنظيم الصيرورة البشرية من الوجود إلى ما وراء الوجود في عملية تكامل دائمة ، وبالتالي فإن الدولة هذه ، نموذج حضاري إسلامي .

وأما في مفهوم « النموذج الحضاري » الأول ، فتكون الحضارة الإسلامية « نموذجاً حضارياً » مستقلاً ، وذلك قياساً إلى حضارات (أو نماذج حضارية) أخرى عرفها تاريخ البشرية .

---

(٦) صديقي ، عبد الحليم ـ (م . س) ـ ص/٢٤ .

وهذا النص مَتَقَيِّدٌ في استخدامه لمصطلحات « الحضارة » ، و « النموذج الحضاري الأول » ، و « النموذج الحضاري الثاني » ، بـالمفاهيم الثـلاثة التي حددناها أعلاه ، وذلك في السياق الخاص بكل منها ، وموقع ورودها في النص ذاته .

تاريخ الحضارات ، وصراع النموذجين الحضاريين :

تأسيساً على تحـديدنـا المنهجي السابق للحضـارة وللنموذج الحضـاري تنبثق مجموعة من الأسئلة البنيانية التي تطرحها ـ عادةً ـ فلسفة التاريخ ، وهي : إلى أي مـدى يصح الحـديث عن « حضارات » متعـددة في تاريـخ الإنسان ؟ وبالتالي ، هل ثمة وجود لفروقات جوهرية أو بنيوية بين هذه « الحضارات » إلى درجـة تصبح فيهـا حضارة كـالحضارة الإغـريقيـة مثـلاً ، حضـارةً مستقلة عن الحضارة الفرعونية ، أو الحضارة الساسانية ، أو الحضـارة الإسلاميـة ؟. . . . وإذا كانت ثمة فروقات بين هذه الحضارات ، فما أصلها ومصدرها وأنواعها ؟ ـ وبالتالي ـ ما القوانين التي تحكم حركة التقاطع أو المفارقة فيما بينها ؟

أسئلة كثيرة أخرى من هذا النمط ، مطروحة في ساح فلسفة التاريخ وعلم اجتماع الحضارات ليس هذا النص ـ بلا ريب ـ مجـالَ التصدي للخـوض فيها والإجـابة عنهـا بالتفصيـل . لكننا أردنـا التوقف عنـدها لحـظة نـظراً لأهميتهـا المنهجية في فهمنا للخطاب الحضاري للإمام الخميني فهماً مستقيماً لا غموض فيه ، وحتى ننزع عن استخدامنا للمصطلح أية ضبـابية تؤدي إلى حمـل بعض طروحاتنا في غير ما نقصد .

وفاق هذا التوجه نعتقد أن تاريخ الحضارة الإنسانية ، كما التاريخ نفسه ، قد عرف حضارتين اثنتين : حضارة الحق/ الفطرة/ التوحيد ، وحضارة الباطل/ المادية/ الدنيوية . وهاتان الحضارتـان محكومتـان بالصـراع والنزاع منـذ فجر الإنسانية ، نظراً لاختلافهمـا الجوهـري في المصدر والأهـداف والقيم . . . . وفي خضم صراعهما التاريخي المستمر كانت للحضارة الأولى جـولات ، كما للأخرى . وكـأنهما في حـركتهما التصـادمية صـورةٌ مكبَّرةٌ عن حقيقـة الصراع

الدائم بين أصالة الفطرة ، وعبادة أهواء النفس[٧] في أعماق الكائن البشري : واحدةٌ ملكوتيةٌ تشدّ به إلى السماء ، والأخرى شيطانية تشده إلى الإكتفاء المادي الدنيوي : **﴿ ونفسٍ وما سوّاها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾**[٨] . فالنـزوعان مستمران في الإنسان من المهد إلى اللحد ، وتلك حالهما في مسار البشر ، منذ ابتدائه إلى نهاية الكون التي تسبقها ، في المفهـوم التوحيـدي ، مرحلة تحقق إزهاق الباطل بكل لوازمه ، وسقوط حضارته/ نموذجه الحضاري نهـائياً بفـرج الإمــام المهـدي وقيــام دولتـه تحقيقــاً « لمنّـة الله على المستضعفين ووسيلة لاستخلافهم في الأرض ووراثتهم لها »[٩] ، تصديقاً لقوله تعالى : **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[١٠] ، وإنفـاذاً « لما وعـد الله به المؤمنين والصـالحين والمتقين في الكتب السماويـة المقدسة »[١١] : **﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾**[١٢] . فسنّةُ الحق النصرُ ، وسنةُ الباطـل الزهـوق . قال تعـالى : **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**[١٣] ، **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً﴾**[١٤] .

إن قـراءة عموديـة لتاريـخ الحضارة البشـرية قـد لا تستدعي كبيـر عنـاء للاهتداء إلى أصل وحقيقة هذا الصراع وجوهره . كل من الحضارتين تصدر عن أصـل وتخضع لسنن وقـوانين ، وتحمل حقـائق ومشروعـاً مختلفاً عمـا تحمله

---

(٧) عبـد الغفور ، عبـد الرؤوف ـ « دراسـات في علم النفس الإسـلامي » ـ القسم الأول ـ ص/١٤ وما بعدها .

(٨) سورة الشمس ، الآيتان : ٧ ـ ٨ .

(٩) المطهري ، مرتضى ـ « نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريـخ » ـ الترجمـة العربيـة ـ ص/٤٦ .

(١٠) سورة القصص ، الآية : ٥ .

(١١) المطهري ، مرتضى ـ (م . س) .

(١٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥ .

(١٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٨ .

(١٤) سورة الإسراء ، الآية : ٨١ .

الأخرى ، لأنها ترى إلى كل ذلك بعين خاصة وتتحرك في أعضائها وأعماقها روح من سنخ مختلف .

فحضارة الباطل تبدأ من هذا العالم وتنتهي فيه على قاعدة أن « الخير هو أن يكون لك أقوى ما يمكن من الرغبات ، وأن تجد الوسائل لتحقيقها » وفاق القانون اللاأخلاقي « لإمبريالية » أثينا[١٥] الذي قام عليه صرح الغرب الحديث الذي يقول : « مملكتي في هذا العالم وحده »[١٦] رداً على النصرانية التي نُسب فيها إلى النبي عيسى (ع) : « إن مملكتي ليست من هذا العالم » . وكيف لا تكون حضارة الدنيا هذه دنيوية طالما أنها ذات أصل بشري إذْ وَضَعَها البشر وصنعوها على قياس عشقهم لذواتهم ، فعبدوا الحياة « بالطريقة التي يعبد بها النَّهِمُ طعامه . إنه يلتهمه لكنه لا يحترمه »[١٧] ؟ .

هي الحضارة التي يتحرك فيها كل شيء ويتغير في الزمان والمكان ، بحيث لا يعتبر صحيحاً صحة دائمة وشاملة . و « إذا كان لا بد من اتباع الدين فللغايات الدنيوية فقط »[١٨] . وإذا قررت نظرة للجماعات والأمم الأخرى ونظامها وتنظيمها ، فعلى أساس التمييز العنصري والقهر العنفي والعصبية العرقية والإستغلال الإقتصادي والإستتباع الثقافي . وما يصل أثينا بروما وصولاً إلى بون ونيويورك وطوكيو أكبر بكثير من سطوة التوزع الجغرافي والقوة الإقتصادية وبورصة أسعار العملات والنفط ، انه فوق وتحت كل هذا الإنفجار المدمر الذي يجتاح العالم اليوم . لأن اليونان والرومان في العصور السالفة وشعوب الغرب اليوم ، كلهم يتحدرون من صلب حضارة مادية واحدة[١٩] . وها هو التاريخ المعاصر على طرفة عين يذكرنا بأمم مزقتها الضغائن القومية والأطماع كإنكلترا وأمريكا واليابان وألمانيا وفرنسا وهي مع ذلك متفقة في

---

(١٥) GARAUDY, Roger - (o.p. cit) - p.19.

(١٦) أسد ، محمد ـ « الإسلام على مفترق الطرق » ـ الترجمة العربية ـ ص/٣٠ .

(١٧) (م . ن) ـ ص/٢٩ .

(١٨) صديقي ، عبد الحميد ـ (م . س) ـ ص/٣٣ .

(١٩) أسد ، محمد ـ (م . س) ـ ص/٤٩ وما بعدها .

أساسيات الحياة والمعيش والقيم وبناهـا . وها هي دول المنـظومة الإشتـراكية التي ظلت تقول بوجود حضارتين على هذا الكوكب : « الحضارة الإشتراكية » و « الحضارة الرأسمالية » ، قد تهاوت الواحدة تلو الأخرى لتتسابق على اللحاق بركب النموذج الإستهلاكي الرأسمالي ويسقط جدار بـرلين ـ الذي كـان يسمى « بجدار العار » متزامناً مـع اعلان صـانع البيـريسترويكـا السوفيـاتية وضحيتهـا ميخائيل غورباتشوف : « لم يعد في العالم اليوم سوى حضارة واحدة » ـ وهو لا يعني بالطبع حضارة الفطرة ـ .

انه أكثر من تشابه ، إنه تطابق في الغايات ، ولو افترقت السبل وكابـرت الايديولوجيات الصغيرة . « ففي ضجيج الحيـاة وضوضـائها . . وفي تضـارب العواطف والمصالـح ، وفي إلحاح الـدوافع العـاجلة وضغطهـا ، وفي صخب الأهـواء وقنص الفرص تجـد أبصار الغـربيين لا تزول عن مثـالهم الأعلى وهو تحقيق وسائل الراحة المادية والسيطرة . إن عشق هذه الغاية المثلى لا يتجلى في سياسة واقتصاد حضارة الباطل فحسب ، بل يكاد يغطي كل جوانب الحياة الأساسية بما في ذلك تكنولوجيتها وفلسفتها وقوانينها وأخلاقها وممارساتها[٢٠] . ولِمَ لا ؟ فعندما تتوحد الغايات والمثل العليا والوسائـل تنصهر الحضـارات في حضارة واحدة ولا يعود التفريق فيمـا بينها أكثـر من تصنيف أكاديمي يتخـذ من الإختلاف في الهوية والزمـان والمكان والجيـو ـ سياسـة وتنوع بعض الـظواهر والتلوينات المحلية ، اصبعاً يقف خلفها فيبدو هو منتفجاً متهدلاً ، وهي أمـامه صغيرة بلا ريش تجهد لتلمحها بوضوح .

وإننـا إذْ نسجل بتقـدير كبيـر القفزات العلميـة الباهـرة التي تحققت في الغـرب ، نشير بقلق أكبـر إلى خطورة النتـائج التي تـرتبت عليها في جـوانيـة الإنسـان ، لأنها أنجبت اختـزالاً ذا بعد واحـد للشخصية الإنسـانية يتمثـل في نموذج الإنسان الفرعوني المنعزل عن القيم السامية ، فَتَرَتَّبَ على هذا الإنعزال نشوء « عقلانية معاقة تحولت إلى غاية في ذاتها »[٢١] تعاني ، أيَّما معاناة ، من

---

(٢٠) صديقي ، عبد الحميد ـ (م . ن) ـ ص/٢٣ ـ ٢٤ .

(٢١) GARAUDY, Roger - (o.p. cit) - p.51.

سوء تغذية روحية تمنح البشر سطوة عملاق لكي تلبي حاجات قزمٍ شرير[٢٢] ،

أما حضارة الحق والفطرة الإلٰهية والتقوى فتصدر عمّا قبل هـذا العالم ، وتتجلى فيه ، وتستمر مسؤوليتها عنه بَعْدَه ، عند باعث روحها وخالقها ، مالك يوم الدين . تنبثق من الفطرة الإنسانية السليمة التي تحكم بأن كل ما في الكون خاضع لقانون العلية . فلا يمكن أن نتصور ظاهرة لم يكن لها وجود في الكون ثم وجـدت دونما علة وسبب ، وذلـك وصولاً إلى مبـدأ العلل والأسباب ـ الله سبحانه ـ . . من هذا القانون نستنتج أن أجزاء الكون كلها مترابطة وذات تأثيـر متبـادل ، بما في ذلـك الإنسان بـاعتباره ظـاهرة كـونية يـرتبط وجودهـا بسائـر الموجودات وتتداخل فيها ، وتتدخل ، عوامل لا حد لهـا ولا حصر ، تخضـع لارادة خالقها تبارك وتعالى ، وتستمر حياتها بعد الحيـاة : **﴿قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يـوم القيامـة لا ريب فيه﴾**[٢٣][*] . **إلّا أن الإنسـان/** الظاهرة الكونية ليس موجوداً عادياً ولا ظاهرة كسائر الظواهر ، بل المتصدي ، فوق هذا وذاك ، لمنة خلافة الله في الأرض وفي الوقت الـذي تعتبر الحضـارة الدنيوية فيه أن الإنسان حيوان عاقل ، فإن القرآن يرفعه إلى سدة نيابـة الله في العالم باعتباره من روحه : **﴿وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ . قال : اني أعلم ما لا تعلمون﴾**[٢٤] . **﴿وإذْ قال ربك للملائكة : إني خالق بشراً من صلصال من حمأٍ مسنون * فإذا سـويته ونفخت فيـه من روحي فقعـوا لـه سـاجـدين * فسجد المـلائكـة إلاّ إبليس أبى أن يكـون مـع**

---

(٢٢) أنظر :
سليمان ، سمير ـ « خطاب العلم فى القرآن » ـ مجلة « الثقـافة الإسـلامية » ـ دمشق ـ العدد/ ٥ ـ ١٩٨٦ ـ ص/ ١٨٥ . و GARAUDY, Roger - (Ibid) - p.219.

(٢٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢٦ .

(*) راجع :
ـ الطباطبـائي ، محمد حسين ـ « الإسـلام ومتطلبـات التغيير الإجتمـاعي » ـ الترجمـة العربية ـ ص/ ٣٣ .

(٢٤) سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

الساجدين﴾[٢٥] . ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلاً﴾[٢٦] .

ان الإسلام في هذه الآيات ، وهو يقدم في الإنسان ، وله ، حضوراً ومشروعاً حضاريَّين لا مثيل لهما ، وعندما يقلده « أعلى مراتب الموجودية بين الموجودات » ـ بتعبير صدر المتألهين[٢٧] ـ ، فينصبه ـ فضلاً وتكريماً ـ خليفة وسيداً في الأرض وما عليها ، فإنما يُلزمه مسؤوليات جساماً ، ويؤسس لتنظيم المجتمع الإنساني ويصنع رؤيته الحضارية . فإدارة الإنسان للحياة والعالم ، على المستويين الفردي والجماعي ، تعني اطلاق طاقاته الروحية والعقلية والمادية فيهما ، كما تعني اطلاق طاقاته الروحية والفكرية في قيادة هذا العالم على أساس « حفظ توازن الموقف البشري في الأرض »[٢٨] بين قوى الإنسان الروحية وقواه المادية في ظل السنن الإلهية وبهديها . وتلك قضية مركبة في قضايا بالغة التعقيد . ولذلك لم تترك العناية الإلٰهية الإنسان ، وهي تحمله كل هذه المسؤوليات ، وشأنه . بل قدمت إليه دليل العمل الذي لا يخيب في أدق التفاصيل العامة والخاصة ، مما يحميه من أسباب التفكك والتدمير الذاتي . . . . فإذا استمسك بعروته الوثقى نجا في الدنيا والآخرة ، وإذا أهملها هلك في كلتيهما . ولعل هذا المدار المنهجي هو أحد الأسباب الكبرى التي تفسر انهيار أمم وسقوطها الكامل[٢٩] .

إن الإسلام ، هو روح الحضارة الإسلامية : « حقيقة ، وله حكم في جميع شؤون الإنسان المادية والمعنوية إلى حيث لا يصل إدراككم له »[٣٠] في

---

(٢٥) سورة الحجر ، الآيات : ٢٨ ـ ٣١ .

(٢٦) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠ .

(٢٧) الشيرازي ، صدر الدين ـ « الحكمة المتعالية . . . » ـ الجزء الأول من السفر الثالث ـ ص/٢٧٧ .

(٢٨) خليل ، عماد الدين ـ « التفسير الإسلامي للتاريخ » ـ ص/٣٠٠ .

(٢٩) (م . ن) ـ ص/٣٠١ .

(٣٠) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات من أقوال الإمام الخميني » ـ (م . س) ـ الجزء الثاني ـ ص/٨٤ .

اطار خطة تربوية شاملة لا يفارق فيها النظري العملي قيد أنملة . وتلك الحقيقة مُشادَةٌ على إنابة الجماعة البشرية في « الحكم وقيادة الكون وإعماره اجتماعياً وطبيعياً »[٣١] ، ومن أساسها تشكلت في الحضارة الإسلامية النظرية السياسية وبنى الحكومة ونظام القيم الإنسانية ، وذلك عَبْرَ « حكم الناس لأنفسهم ، وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها »[٣٢] وإدارتها حياتها ونظامها بوصفها مستخلفة في العالم . وبالتالي فهي غير مطلقة الحركة والتدبر « وغير مخولة أن تحكم بهواها أو باجتهادها المنفصل عن توجيه الله سبحانه وتعالى ، لأن هذا يتنافى وطبيعة الإستخلاف »[٣٣] .

وفاق هذا النموذج الحضاري الإلٰهي ، بمنهج الإسلام دورة الإنسان في العالم ويحفظ توازنها ، ويربطها بمصدريتها ويُشرع لها قوانينها العملية ، فيتحول الإستخلاف الإلٰهي للإنسان إلى حركة مستمرة للكدح نحو اللامحدود والمطلق في إطار الإنضباط بين إرادة الإنسان وحريته ومسؤوليته وبين الإرادة الإلهية/ الفعل ، وبين الإنسان والإنسان ، وبينهما وبين الأرض .

في هذا المدى التفاؤلي تقرأ الحضارة الإسلامية الوجود عندما تحرر الإنسان من العبودية للعالم فتجعله وصياً عليه ، وتخلصه من جبرية الخيارات المادية باتجاه انماء قابلياته الكامنة انماءً كاملاً متكاملاً ، وتطويرها ، وجعله مسؤولاً عن مصيره . فما من امرىء يولد ومعه لعنة الخلود في النار أو بطاقة السفر الحتمي إلى الجنة . لكن مصيره هو ما تقرره أعماله ومدى التزامه أو مفارقته نظام القيم الإلهي لمسيرة البشرية[٣٤] .

*****

---

(٣١) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ ص/١٣٤ .

(٣٢) (م . ن) .

(٣٣) (م . ن) ـ ص/١٣٦ .

(٣٤) راجع :

ـ سليمان ، سمير ـ « خطاب العلم في القرآن » ـ (م . س) ـ ص/١٧٧ ـ ١٧٩ .

على أركان هذه الثوابت المنهجية في المصطلح والمفاهيم الحضارية التي رأينا التوقف عندها ضرورياً ، رغم استطالته النسبية ، باتت - في رأينا - قراءة خطابا الصراع والإستنهاض الخمينيًّين ، اللذين لم يكونا قَطُّ إلاّ إسلاميًّين أصيلَيْن ، ممكنة العبور والتشييد . فعلى أساسها تحددت زاوية الرؤية التي وقفنا فيها ، ومساحة الأبعاد الحضارية التي نزعم أننا استطعنا التقاطها وبذلنا وسعنا في تحليلها وفهمها . ولا ندعي ، في أية حال ، أن قراءتنا هذه قد تمكنت من الإحاطة بكل جوانب الخطاب الحضاري للإمام في مسألة الإستنهاض والدعوة التي لا تزال تحتاج إلى المزيد من الدراسة والتعميق على مستويات أخرى من القراءة والتَّبْيين .

الفصل الثاني

- الامام الخميني وصراع النموذجين الحضاريين
- الامام الخميني والمشروع الحضاري الاسلامي

اشكالات النظرية

والمراحل بين البشري والالهي

الإمام وصراع النموذجين الحضاريين :

من روح هـذا المشـروع الإسـلامي الحضـاري للعـالم ، كـان الإمــام الخميني ؛ لواءَ الدعوة إليه والإستنهاض به حَمَلَ ، وعقيدتَـه ومبادئـه اعتنق ، وبأحكامه وحدوده عَمِلَ ، وعلى خط الأنبياء والرسل والأئمـة سار ، مستنهضـاً ومربياً وثائراً وشاهداً ، والمسلمون ظهرهم إلى الجـدار ، والمأزق الحضـاري والوجودي في الأوج .

كان مشروع حضارة الباطل قد اكتسح صدر الأمة وتكرَّس كمشروع منتصر في العـالم ، بعـد مـا هَـزَمَ كـل الآخـرين واقتلعهم من جــذورهم وذواتهم ، واستوعبهم . أما الإسلام فكان قد تحول إلى مجموعة أسفار تليدة تنوء بأثقالها الظهور المكسورة ، فأودعتها رفوف المكتبات الدهـرية أو فيمـا خلف الذاكـرة مُبَدَّدَةَ التأثير ، أو متروكةً لعبث مستشرقي الداخل والخارج ، وأُخرج القرآن من الساحة « حتى كأنه فقد دوره في الهداية[1] لمشروع الباطل ذاك ، ومن مستنقع الهزيمة السائدة ، قام الإمام متصدياً ، إمـاماً ملكـوتياً ، راسخـاً في علم باطن

(١) الخميني ، الإمـام روح الله ـ « الوصيـة السياسيـة الإلهية لـلإمام الخميني » ـ التـرجمة العربية : ص/٩ .

الشريعة وظاهرها ، ومبيِّناً للحقائق الإلٰهية ، ومرتقياً نحْو « عز الربوبية بذل العبودية »[٢] ومرجعاً دينياً ، ومفكراً مجدِّداً ، وحكيماً فذّاً ، وقائداً سياسياً هادياً . . بتلك كان الإمام ، وبها استعادت الأمة إمامتها ودورها .

لقد عرفت البشرية على مدى الزمن قادةً كباراً ومصلحين وتغييريين كُثُراً ، لكنهم جميعاً ظلوا دون مرتبة الأنبياء والأوصياء والصِّدِّيقين . كما عرفت دعاة ورساليين في شتى المجالات ، غير أنهم لم يرتقوا إلى درجة الأولياء الصالحين بالمعنى القرآني ، ولم يشكلوا انعطافاً تاريخياً بنوعياً ، بحيث يُكَوِّن جهدهم وتراثهم وكفاحهم طفرة كبرى ، وارتجاجاً في عقل العالم وروحه ، وانشعاباً في مساره . وليس عبثاً أن لا يسجل التاريخ طفرة حقيقية إلّا وكانت مسجلة باسم واحد ـ أو أكثر ـ من أولئك الرساليين الإلٰهيين الذين عرفتهم البشرية . لكأنما ثمة سنة إلٰهية لا تمنح فضل تحقيق تغير في المسار التاريخي للإنسانية إلا لحملة المشروع الإلٰهي من خاصة أوليائه ، مِمَّن فُتح باب الملكوت أمامهم في مراتب حددها الله تبارك وتعالى ، متدرجين من النبوة فالإمامة والولاية والوصاية فالنيابة ، ومن المعصومية إلى ما يتلوها موقعاً . بحيث تتماسك هذه المراتب وتتدرج من أعلى إلى أسفل مشدودة بإحكام إلهي إلى محور واحد هو عقيدة التوحيد المتجلية بحضارة التوحيد المحتضنة محتواه . فإذا الإمام الخميني ، سليل هذه الدوحة ، فيه بإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص) والأئمة (ع) ، مربى الروح وغائية الهدف الواحد ، والسبيل الواحد على طريق القضية الواحدة ، وإلى ذلك كله ايمان الإمام بربه ، وايمان بشعبه لا يصرفه عنه شيء[٣] ، ويقين بجهاد ما كان إلاّ باباً من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه[٤] فزاده الله هدى .

أَذَّنَ الإمام : « حيّ على خير العمل » ، فَبُعِثَت حضارة التوحيد من

---

(٢) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الآداب المعنوية للصلاة » ـ الترجمة العربية ـ ص/٣٢ .

(٣) المطهري ، مرتضى ـ « مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران » ـ الترجمة العربية ـ ص/٢٢ .

(٤) ابن أبي طالب ، الإمام علي ـ « نهج البلاغة » ـ خطبة الجهاد ـ ص/٦٩ .

جديد ، مشمِّرَةً للصلاة واستئناف مسيرتها الجهادية ، كما الأمة ، في وجه حضارة المادة والباطل ، لتستعيد مسؤولية اضطلاعها بحمل مشروعها الإلهي ، وتعيد تجديد عهد الإستخلاف الربَّاني للإنسان في الأرض ، بعدما طال زمان نكوثها به قروناً عديدة ، فانفتح للتاريخ الإسلامي عصر جديد .

وليس المقصود بفعل التلبية هذا أن الأمة الإسلامية قد قفزت قفزاً ميكانيكياً من عتمة الذات والتاريخ إلى وهج الرسالية مرة واحدة ، وبطرْفَة عين ، فالنقلات الحضارية للأمم - ولو باندفاع ثوري - لا تكون بهذا « السحر الآلي » . لكن المقصود أن الإمام شقَّ تلك العتمة بجراءة الإيمان الإلهي ليعيد بعث الرسالة بالأمة ، وليميط عنهما أغشية الإخفاء وحجب التسيُّب الروحي وهجوع الحركة . ولم يطل الأمر بالنفوس الموصدة والقلوب المقفلة حتى استقامت لتعيَ أسباب وحقيقة غفلتها و « تنتقم » منها بصحوات ذاتها المستعادَة ، فسارعت إلى طي تاريخ الذلة ، وقفزت فوق التطور التاريخي ومسافات الزمن ، كأنما تمارس فعل « إسراء » جديد تتماهى فيه ، وتكسر أسوار قطيعتها مع السماء ، وتعيد تقويم مسيرتها في الأرض بهدي تعاليم السماء ، فتنكشف أمامها معالم المسار الصحيح ، وينمحي الزمن في فعل التجرؤ على الموت .

لم يَسُد الصمت والسكون لحظة في وجدان الإمام ، إذْ سرعان ما انبرى لعصره ، بعد أن اختزن في وعيه تاريخ الأمس المشرق ، ليَفْرِي مكنونه ، ويستجلي مواطن الداء ، ويشخص مواضع الخلل ، والدنيا من حوله مطوَّقة بالأضواء الخُلَّب والأشياء ، حتى عَشِيَتْ الشعوب المغلوبة وكادت تفقد حتى البصر ، بعد ما تم افقادها البصيرة . وإذا العالم عالمان : عالم المستضعفين ، وعالم الطاغوت والإستكبار المتمادي في نهش جسد العالم الأول ولعق دمائه . بينما الإسلام/ الخلاص أسير التخلف والتبعية والمسخ والإبعاد والبدع ، فشهر الإمام علمه وأظهره ، ولم يكن الإظهار إلاّ التزاماً بأحكام الله وشريعته ، وامتثالاً لأمره ومشروعه للبشر كافة .

بعين الإسلام ومنهج الرؤية فيه نظر الإمام الخميني إلى العالم فلم يجد

سوى نموذجين حضاريين إذن : نموذج الاستضعاف وفيه المسلمون ، ونموذج الطاغوت الجامع ، لكل قوى الباطل وأتباعها في الأرض . وقد سمَّاهما الإمام : « طريقين : طريقَ الله وطريقَ الطاغوت »[5] ، وليس ثمة طريق ثالث . ومصطلح « الطاغوت » قرآني كما نعلم ، وفاق قوله تعالى : ﴿**والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت**﴾[6](*) . أما مصطلح الطريق الآخر فمصدره الآية الكريمة : ﴿**الله ولي الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾[7] ، وذلك استناداً إلى رأي الإمام نفسه[8] . والطريقان المنوه بهما متطابقان مع مفهوم الحضارتين/ النموذجين الحضاريين اللذين عرضنا لهما في الصفحات السابقة : نموذج حضارة الحق ، ونموذج حضارة الباطل .

أما طريق الله/ النموذج الحضاري الإسلامي ، فهو الطريق الذي « يجعل الإنسان مهتدياً من جميع جوانب حياته : في الجانب العقلي ، وفي الجانب المتوسط الذي هو الجانب الخيالي ، وفي الجانب التنزلي وهو جانب العمل . فإذا سار [الناس] على هذا الصراط المستقيم فهم إلٰهيون . فالطريق طريق الله . وكل من سلك هذا الطريق هو إلٰهي ، حتى يكون كل شيء من الإنسان

---

(٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٢٧ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

(*) ورد ذكر « الطاغوت » في القرآن ثماني مرات في السور التالية :

سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

سورة النساء ، الآية : ٥١ .

سورة النساء ، الآية : ٦٠ .

سورة النساء ، الآية : ٧٦ .

سورة المائدة ، الآية : ٦٠ .

سورة النحل ، الآية : ٣٦ .

سورة الزمر ، الآية : ١٧ .

(٧) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٧ .

(٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ص/١٢٨ .

في أعماله وحركاته ، وفي تخيلاته ، وفي تعقلاته ، إلٰهياً » ارتكازاً إلى تحديد الإمام[٩] .

أما طريق الطاغوت/ النموذج الحضاري الباطل فهو عنده طريق الظلمات : « طريقُ ظلمات العالم كله الذي لا يتوجه إلى الله »[١٠] على حد تعبير الإمام ، باعتبار طريق الله وحدَها هي الطريق إلى النور ، « والنور هو نور الله المطلق الذي يجب أن يتوجه العالم كله نحوه »[١١] . فكل ما هو خلاف التوحيد « هو الكفر . . . وهو الطاغوت ونهايته إلى جهنم »[١٢] . وبالتالي ، فإن « كل حركة يقوم بها الإنسان ، سواء كانت حركة قلبية أو روحية ، أو حركة عضوية ، ليست خارج هذين الحدين »[١٣]/ النموذجين الحضاريين . فإما أن تكون باتجاه الصراط المستقيم إلى الله ، واما باتجاه « الطاغوت المنحرف نحو اليسار أو نحو اليمين »[١٤] .

إلى هذا المنهج إذَنْ يستدل الإمام بالقرآن ، ويجوهر رسالات الأنبياء وأهدافها فيقول : « وقد أنعم الله علينا بمجيء الأنبياء ليهدونا إلى . . . طريق الله الذي يوجب ايصال العالم بأسره إلى السعادة والعيش براحة وأمان في جو من التربية الصحيحة ، ويعيدوا الناس إلى مسار التوحيد الإلهي . . هذا طريق الله . . فعلينا جميعاً أن نتحرك في هذا الطريق ، والذين يدعون إلى غيره ويُوجهون الناس إلى خلاف مسيرِهِم الطبيعي ومسير فطرتهم الضالون ، وهم الطواغيت »[١٥] .

نحن أمام نموذجين حضاريين مختلفين في مفهومهما ومنطلقاتهما

---

(٩) (م . ن) .
(١٠) (م . ن) .
(١١) (م . ن) .
(١٢) (م . ن) .
(١٣) (م . ن) .
(١٤) (م . ن) .
(١٥) (م . ن) ـ ص/١٢٨ ـ ١٢٩ .

وأهدافهما ونظرتهما إلى الإنسان والحياة والتاريخ والطبيعة وما وراءها ، ولا تصالح بينهما ، فالصراع بينهما ، أي بين الحق والباطل ، هو الذي يحكم علاقتهما : نموذج يشد الأرض إلى السماء ، ونموذج يشد الأرض إلى الأرض ، وإذا كان بعض حواريي النموذج الثاني يرفعون أنظارهم نحو السماء ، فإنهم يفعلون ذلك بعد أن استنزلوا إلههم من السماء إلى الأرض وجسّدوه في كائن أرضي[١٦] . أو حَوَّلوه إلى عجوز بهي الطلعة يقطن السماء . وأما الأرض فهي لقيصر ، وقد نسخت رسالة الله وسُخرت لخدمة الطواغيت . بينما النموذج الأول/ التوحيدي يقول باتجاه موجودات العالم « في اتجاه واحد ، ونحو مركز تكامل واحد وفق نظام منسجم »[١٧] . كما يقول بوحدة الكائن الإنساني في محتواه الداخلي ، وفي حركته التكاملية الإنسانية ووحدة المجتمع الإنساني في نظمه واتجاه حركته »[١٨] على طريق عبودية الله الواحد الأحد . لذلك حمل بالإسلام « في يدٍ منطقاً ودعوة ومنهجاً في التربية والتعليم لخلق إنسان ذي محتوى داخلي موحد . . ، وحمل في يدٍ أخرى سيفاً لاقتلاع جذور العلاقات الإنسانية الظالمة ، وللإطاحة بالطبقية ، ولتحطيم الطواغيت »[١٩] .

لقد تماهى النموذج الحضاري الإسلامي في الإمام ، وتماهى الإمام فيه ، فانْفَلَقَ من هذين التماهيين موجُ طامٍ لَجِبٌ ، قَلَبَ بفعله معادلات الواقع والتاريخ الحديث والحياة ، واستوت بفضله سفينة الأمة مصححةً مسيرتها إلى قبلتها الأصيلة . فأنقذ الإمام المشروع الحضاري الإسلامي كما أنقذ نوح بفلكه نسل الحياة ، وكان فعله الانقاذي بذاته نموذجاً حضارياً إلهياً على هدى خط الرسالات والأنبياء .

إن الظلام كثيف المرور على معابر العصور والتاريخ . أما في عصرنا

---

(١٦) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ (م . س) ـ ص/٢٠٤ .
(١٧) المطهري ، مرتضى ـ « المفهوم التوحيدي للعالم » ـ الترجمة العربية ـ ص/١٤ .
(١٨) (م . ن) ـ ص/٣٨ .
(١٩) (م . ن) ـ ص/٤٣ .

هذا ، فإن اشتداد حلكته قد أمات الحواس والأحاسيس وسَوَّد العقول ، وبدا الظلام سرمدياً . . حتى جاء الإمام واختزله لحظات جهالة وغفلة لا بد للشعوب المقهورة أن تمر بها ، إذْ أنار طريق الله ، مندفعاً لاستنهاض المسلمين والعالم إليه ، مجاهداً لاسقاط « الأنا » الدنيوية بكل امتداداتها ، وقطع جذور التبني لنموذجها الحضاري والإرتماء في تَبَعِيَّتِهِ ، وذلك بالعودة إلى الإسلام ، « لا كتقليد أو وراثة »[٢٠] أو تراث مُتحفي ، بل كـ « ايديولوجية » وتصور لما يجب أن يكون ، وكنظام خلاص وحياة بعيداً عن العموميات الذهنية التي ابْتَدَعَتْها حضارة الباطل وحاولت من خلالها « الغاء أصالة البشر الثقافية في العالم كله »[٢١] ، وإرساءَ دعائم « المبدئية المطلقة لقيم الغرب »[٢٢] مكانَها ، لتكُون « كبديل عن ضائع » بحيث لا تجد الأمم المستضعفة أمامها سوى خيارين « حتميين » فَرَضهما الطاغوت : إما الإنتحار في الإستمرار بالبدائية والتوحش ، وإما الحياة في « فردوس » الاستتباع والاستلاب في ظل حضارة الغرب « العظمى » .

وبذلك حَشرَ الغرب المتفوق العالم الإسلامي بين مطرقة التحول إلى « غربي علماني مُعَصْرَن » وسندان التخلف والإندثار[٢٣] ، وقد انطلت هذه الأكذوبة « الإختيارية » على الكثيرين من قادة العالم المظلوم المعاصرين . وها هو مصطفى كمال اتاتورك ، الذي اعتبره « أرنولد توينبي » : « حسنَ حظ للشعب التركي »[٢٤] يسارع إلى فرض « الاستقلال الكلي عن أية مرجعية للإسلام » على الشعب التركي ، مُسْتَظِلاً بشعاره الشهير : « إما أن تصبح عصرياً ، وإما أن تزول من الوجود »[٢٥] ، فتخلف العالم الإسلامي عنده « سببه

---

(٢٠) شريعتي ، علي ـ « العودة إلى الذات » ـ الترجمة العربية ـ ص/٣٦ .
(٢١) (م . ن) .
(٢٢) (م . ن) .
(٢٣) RONDOT, Pierre - «lislam» - P.96 et 232.
(٢٤) توينبي ، آرنولد « تاريخ البشرية » ـ الترجمة العربية ـ الجزء/٢ ـ ص/٢٦١ .
(٢٥) سكارسيا ، ماريا بيانكا ـ « العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية » ـ الترجمة العربية ـ ص/١٥٥ ـ ١٥٦ .

الإسلام نفسه »[٢٦](*) .

من هنا نفهم أصلاً هاماً من أصول ثورة الإمام الخميني بالإسلام على نظام الشاه ، باعتبارها ثورة على المحتوى الحضاري لذلك الطاغوت ، عندما أكد الإمام على « أن المدنية التي فرضوها أيام الشاه . . هي مدنية أسوأ من التوحش »[٢٧] . . ، « وحينما يزعم الشاه بأنه يسير بإيران نحو بوابة « الحضارة العظمى » فإنما هو يكذب »[٢٨] .

الإمام والمشروع الحضاري الإسلامي/ إشكالات النظرية والمراحل بين البشري والإلهي :

قد يبدو الحديث عن الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي ، وكأننا نتحدث ـ كما المألوف في الأنماط المشابهة ـ عن مُنَظِّرٍ ونظريته ، أو عن منظر ونظرية . مما يقتضي ـ بالتالي ـ طرح موضوع بات من قبيل لوازم الفكر السياسي المستهلك وتداعيات العلاقة بين الفكر والواقع ، وهو موضوع : النظرية والتطبيق .

وربما يصح طرح هذه المسائل كافة في فكر المفكرين الأرضيين ، ومدى امكانية اسقاط نظرياتهم على الواقع المعيشي في شتى الشؤون . أما في موضوع فكر الإمام الخميني فالقضية غير مطروحة من أساسها . لأن الإمام ينطلق ويتكامل ويحاكي « فكراً » مُنَزَّلاً ، ولأن فكره منبثق من السماوي المطلق الكامل . بينما نجد أن المفكر الأرضي ، في تفكيره الأرضي ، لا يمكن أن يصدر عنه إلاّ فكر ناقص ، لأنه بذاته ناقص . والكامل وحده يستوعب الناقص ، وليس العكس صحيحاً . وتلك مسألة حضارية جوهرية يختلف فيها

---

(٢٦) PELLEG RIN, Arthur - «L'Islam dans Le monde» p.111.

(*) راجع أيضاً : بحثنا : « الإسلام وإشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي » ـ مجلة العرفان ـ بيروت ـ العدد/٦و٧و٨ ـ المجلد الخامس والسبعون ـ ١٤٠٨هـ ، ص/٦١ .

(٢٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/٧٥ .

(٢٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ الترجمة العربية ـ ص/٣١٧ .

(٢٩) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان في تفسير القرآن » ـ المجلد/٥ ـ ص/٢٥٥

منهج الفكر في الإسلام عن المناهج الأرضية اختلافاً بنيانياً .

وعلى هذا الأساس يكون « من باب التعسف ـ عندنا ـ اعتبار الإمام « مُنَظِّراً » بالمعنى الرائج للمصطلح . ولسنا ندري ـ استطراداً ـ ما إذا كان الكلام على « التنظير » في الإسلام ، وأيضاً بالمعنى المتعارف عليه للمصطلح ، جائزاً ودقيقاً . وقد يكون من نافل القول في هذا السياق ، إننا لسنا في مجال مناقشة مسألة الفكر أو التفكيز في الإسلام هاهنا ، فتلك مسألة أخرى لها في النص القرآني خطاب متكامل يتوزع على ثلاثمائة موضع أو تزيد[٢٩] ، وتستدعي بحثاً مستقلاً .

في هذا السياق نعتقد ، من جهة أخرى ، بعدم وجود نظرية منفصلة عن التطبيق في المشروع الحضاري الإسلامي ، وخصوصاً في قضية الامامة والولاية بما هي قضية مبدئية من قضايا هذا المشروع . « فالنظرية » فعل إنساني ، و« التنظير » ظاهرة من شأن البشر . أما في الإلهي فثمة أحكام وشرائع وأوامر ونواهٍ وسنن لا مجال للشك في صحتها ومصداقيتها وخيرها لمصلحة المستخلف البشري على الأرض . وأهم من ذلك كله أن الإخلال بها والنكوص عليها ، مستوجِبٌ لأعباء مسؤوليات وعقوبات موصوفة في الدنيا والآخرة . وليس الإمام ، أو مَن هم في موقعه ، بمثابة منظِّرين ، بل « علماء بالقانون الإسلامي »[٣٠] الإلهي ، ومتصدون لبيان أحكام الله عزَّ وجلَّ واقامة حدوده وتنفيذ ما أمر به وما نهى عنه ، مُتَحَقِّقاً فيهم ، إلى جانب الأعلمية ، شرط ضروري آخر هو العدالة[٣١] ، على أساس أن « العلم بالقانون ، والعدالة ، هما ركنان من أهم أركان الإمامة[٣٢] ، أي أن فقاهتهم وعلمهم ادراكان حصوليان لموجود مُتَنَزِّل من لَدُنِ الله سبحانه . إنهما بتعبير آخر : أرضيان يكدحان إلى السماوي ، بما هو أيضاً مُقَرَّرٌ لخدمة الأرضيين وصلاحهم

---

(٣٠) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ الترجمة العربية ـ ص/٤٥ .
(٣١) (م . ن) .
(٣٢) (م . ن) ـ ص/٤٦ .

في الحياة ، وفيما بعد الحياة ، في تكامل ارتقائي لا ينقطع . فالأرضي حركة وعبور إلى السماوي ، وبقوانينه . ومتى كان السماوي منفصلاً عن الأرضي ؟! .

والعلم والعدالة مستدعيان لشرط ثالث مُسْتَكِنٍّ فيهما ضرورة ، هو شرط الكفاية . فمسألة الكفاية « داخلة في العلم بنطاقه الواسع »[٣٣] ، وهي إلى ذلك ، لازمة للعدالة التي لا تَسْتَتِمُّ ولا تَسْتقيم إلّا بها[٣٤] . لكن الشروط الثلاثة المنوه بها لا بد أن تكون محصنة « بأقصى حد من كمال العقيدة وحسن الأخلاق . . والنزاهة من الآنام . . فالإمام . . . فاضلٌ عالم بالأحكام والقوانين ، وعادل في انفاذها ، لا تأخذه في الله لومة لائم »[٣٥] .

من باب العلم والعدالة والكفاية والعقيدة الكاملة والتنزه إذَنْ ، يَدْلِفُ المرجع الفقيه إلى السلطة والحاكمية وليّاً[*] يلي من أمور المجتمع ما كان يليه النبي والأئمة (ع) منها . فوجب على الناس أن يسمعوا له ويطيعوا[٣٦] . « فللفقيه العادل جميع ما للرسول والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، مما يرجع إلى الحكومة والسياسة . ولا يُعْقَلُ الفرق ، لأن الوالي ـ أيَّ شخص كان ـ هو مُجْري أحكام الشريعة ، والمُقيمُ للحدود الإلهية ، والآخذُ للخراج وسائر الماليات ، والمتصرّف فيها بما هو صلاح المسلمين » ـ وفاق قول الإمام

---

(٣٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « كتاب البيع » ـ الجزء/٢ ـ ص/١٧ .

(٣٤) يرى السيد محمد باقر الصدر : « أن المرجع دائماً هو نائب الإمام . ونائب الإمام هو المجتهد المطلق العادل الأعلم ، الخبير بمتطلبات النيابة . . . » .
ـ أنظر :
الصدر ، السيد محمد باقر ـ « أطروحة المرجعية الصالحة » ـ نشرة « صوت الأمة » ـ طهران ـ ص/٢٢ .

(٣٥) الخميني الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٤٧ .

(*) مصطلح (لوكي) هنا يعني المسؤولية عن حكومة الناس وسياسة البلاد وادارة شؤون المجتمع وتنفيذ أحكام الشرع .
ـ أنظر : (م . ن) ـ ص/٥٠ .

(٣٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ « كتاب البيع » ـ (م . س) ـ ص/٤٦٧ .

الخميني[٣٧](*) . فهل كان النبي (ص) مُنَظِّراً ؟ وهل كان الوصي مُنَظِّراً ؟ . .

« إن فضائلهما ـ يقول الإمام الخميني ـ لم تكن تخولهما أن يخالفا تعاليم الشرع ، أو أن يتحكما بالناس بعيداً عن أمر الله »[٣٨] . فَمَهمَّتاهما تتصديان للشأن الإجرائي التنفيذي فيما هما موكلتان به أساساً في تكليفهما الشامل ، وهما في الموقع الجليل الذي شاءه الرحمن لهما . فإذا كان هذا شأن النبي والوصي على المستوى التنفيذي ، فأحرى أن يكون الفقيه الحاكم في هذا الجانب متمسكاً بذات النهج ، خاصةً وأنه يملك « من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (ص) وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، على ما يمتاز به كُلٌّ من الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة »[٣٩] .

ولا ينبغي إن يُسَاءَ فَهْمُ ما تقدم فَيَظُنَّ ظانٌّ أننا نَنْزَعُ عن الفقاهة الكفِيَّةِ العادلة حقَّ العقل والإبداع الفكري ، فهذا شأن هو من باب « تحصيل الحاصل » . فَأَنَّى للفقاهة العادلة الكَفِيَّة أن تكون كذلك من غير عقل مبدع[٤٠] ؟ . وَمَنْ قال : إن الفقيه المجتهد الموصوف بالعدل هو مجرد حاسبٌ

---

(٣٧) الخميني الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٤٩ .

(*) من نافل القول هنا التأكيد على أن « من البديهي أنه لا يستطيع أحد أن يتحمل هكذا قيادة بهذه المؤهلات والشروط إلاّ أن يكون قد تربى في صميم الفكر الإسلامي ، وأن يكون عارفاً بالقرآن والسنّة والفقه والعلوم الإسلامية معرفة كاملة . وعلى هذا الأساس أيضاً لا يستطيع إلاّ (علماء الدين) قيادة الثورات الإسلامية » .

راجع : المطهري ، مرتضى ـ « الحركات الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٨٣ .

(٣٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » (م . س) ـ ص/٤٩ .

(٣٩) (م . ن) .

(٤٠) ربما كان من نافل القول التذكير بتلازم العقل والشرع في أصول الفقه الشيعي على أساس القاعدة المعروفة : « كلُّ ما حَكَمَ به العقل وحَكَمَ به الشرع » . فمنذ تدوين تلك الأصول اعتبرُ العقل واحداً من الأدلة الشرعية ، فقالت الشيعة : ان الأدلة الشرعية أربعة : الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ، في الوقت الذي كان فيه أهل الحديث يحصرون الأدلة الشرعية بالكتاب والسنّة والإجماع ، ويقصرها أهل الرأي والقياس في الكتاب والسنّة والإجماع والقياس .

آلي مُبَرْمَج ومُتَخَصِّص في إصدار الفتاوي وتصنيفها ؟ . . أليسَ كونَ المجتهد مجتهداً راجع في الأساس إلى الاقتدار على استنباط الأحكام الشرعية من خلال الأدلة الشرعية المعتبرة(٤١) ؟ . .

ليس الإمام الخميني إذَنْ ، مُنَظِّراً ، بل هو حامل المشروع الحضاري الإسلامي الذي هو بذاته « نَظريتُهُ » الإلهية ودليل هدايته وحافظها ، فقد أعاد الإمام إليه ما أَفْقَدَهُ العباد من زَخَمِ الفعالية بعد أن جهلوه فهجروه .

لقد هاجر إليه الإمام مُستعيداً مستَنْقِذاً ، وثار به وَلَهُ وِفاقَ ذات المنهج النبوي والإمامي . وكل تَمَيُّزٍ حضاري بَرَز في مسيرته ، وكلّ فِعْل ، واجدان أصلهما ومبدأهما وحكمَهما في الإسلام كتاباً وسنّةً . كيف لا ؟ وللإسلام حكم في جميع شؤون حياة الإنسان المادية والمعنوية « إلى حيث لا يصل إدراككم إليه » ، ـ كما سبق وأشرنا ، وبتعبير الإمام نفسه .

في انتظام هذه المسيرة التاريخية وانضباطها داخل أُطُر المشروع الحضاري للإسلام ، لاحظ الدارسون ثلاث مراحل أساسية : مرحلة الاستنهاض والتبليغ ، ومرحلة الثورة ، ومرحلة تأسيس الحكومة الإسلامية واطلاق عُقال الدولة .

لكن هذا التصنيف ـ في رأينا ـ مجرد ضَبْطٍ كلاسيكي وأُفُقي لمراحل تقليدية مرت بها ثورات تاريخية عديدة عرفها العالم ، وبالتالي فهو لا ينطبق تماماً على طبيعة ومنطق ومُجريات الثورة الإسلامية في إيران ، كما أنه مُخالِف للنموذج الحضاري الثوري ، منظوراً إليه بمنهج الإسلام ومعاييره باعتبار أن هذا النموذج هو منتج الثورة الإسلامية وصانعها .

إننا عندما نزعم وجود « مراحل » ثورية متدرجة من الدعوة ، إلى الثورة ،

(*) راجع :
ـ المطهري ، مرتضى ـ « مبدأ الإجتهاد في الإسلام » ـ الترجمة العربية ـ ص/٢٦ ـ ٢٨ .

(٤١) (م . ن) ـ ص/٢٤ .

إلى الدولة ، فذلك يعني أن الدعوة تنتهي بانفجار الثورة وانتصارها ، وأن الثورة تنتهي بنشوء الدولة ووصول الأمة إلى حالة الثبات والسكونية والإستقرار مُتَدَبِّرَة شؤونها ، مُرْتَدَّةً إلى جوانيتها تَتَشَرْنَقُ فيها وتتغلب مصالحها على كل ما عداها في نظام معيش الأمم وحركة علاقاتها « المستقرِّة » ، داخل حدود دولة يُصطلح على تسميتها بالدولة « الستاتيكية » التي تحكمها حكومة « إستاتيكية » سكونية وذات طابع إداري وتنظيمي . هذا المسار الثبوتي « الاطمئناني » مسار مسطَّحٌ أفقي ، يَفْهَمُ حركة البشر بمنهاج دينامي أَمامي (بفتح الهمزة) [←——] ليس فيه من الدينامية إلاَّ سيماء الشكل ، بينما يراه الإسلام ـ والإمام الخميني حامل دعوته ولوائه ـ بمنهج دينامي من نمط آخر قائم على ارتقاء لولبي باتجاه المثل الأعلى الإلهي . قال تعالى : ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فَمُلاقِيْه﴾[٤٢] . « فالإنسانية بمجموعها تكدح نحو الله سبحانه ، والكدح يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد المجاهدة . . . وبل هو سير ارتقائي ، هو تصاعد وتكامل »[٤٣] من هذا العالم إلى العالم العلوي ، وبين هذا العالم والعالم العلوي . والتصاعد والتكامل لا يكونان قفزاً ميكانيكياً ، لكنهما حركة دورانية تدرجية وصراعية يكون الارتقاء فيها ترقياً وزُلفى باتجاه الأكمل للتكامل فيه . إنه فعل هداية متنامية ومتراكمة وتَوَصُّلِيَّة إلى الأعلى .

يقول الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ في اشارة إلى الآية السادسة في فاتحة كتاب الله التي يرددها المسلم في صلاته عشر مرات كل يوم : ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ : « الصراط المستقيم أحد زأسيه هنا ، والرأس الآخر في ذلك الجانب من العالم ، مبدأ النور . . والذين يَدْعون إلى غير هذا الطريق هم الطواغيت »[٤٤] .

---

(٤٢) سورة الإنشقاق ، الآية : ٦ .

(٤٣) الصدر ، محمد باقر ـ « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » ـ (م . س) ـ ص/١٤٨ .

(٤٤) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٢٨ ـ ١٢٩ .

ان هذا النوع من الارتقاء ليس ارتقاءً عمودياً بالمعنى الرياضي للكلمة . انه لولبي بحيث تتصاعد الأمة فيه من خلال دوائره . وكل واحدة منها تشكل حالة تطورية من حالات صعود المشروع الحضاري الإسلامي كله باتجاه مثله الأعلى الرباني ، وتتكامل فيها الدعوة بالثورة والدولة ، وتحتضن الثورةُ المرتقيةُ الدعوةَ والدولةَ ، وترتفع الدولة إلى الدعوة والثورة فتدفعهما باتجاه حركة تصاعدية جديدة ، أي إلى دعوة وثورة متمددتين ناميتين في مكان آخر وزمان آخر ، بنموذج الثورة النبوية الأولى وعلى مثالها . فما كان يريده الرسول جاء واضحاً منذ البداية ، بلا مواربة : إقامة حكم الله في الأرض ، لا يتخلى عنه قيد شعرة ولو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في يساره .

لقد جاء هذا بالحق الإلهي تكليفاً أَمْريًاً دفعة واحدة . انه الحق الكلي الذي يملأ « فراغ » قلب كل دائرة لولبية مقبلة ، بلا لبس ، وبلا اشكالات تنظيرية ، بعيداً عن أية محاولة تكتيكية إلاّ في دورة صناعة التفاصيل الأسلوبية أو الكيفية .

وإذا كان القرآن الكريم قد نزل على مراحل نجومية ، فإن مما لا شائبة فيه أن كل آية من آياته المحكمات تفسره كله . ولهذا نفهم كيف أن حركة اتساع وتنامي الفكر الإسلامي جاءت نسيجاً لولبياً يتمحور في اطار الحق الإلهي الكلي . بينما جاء أي فكر آخر أفقياً أمامياً (بفتح الهمزة) ، وتجزيئياً ، ومنقوصاً ، أو تركيبياً . وعندما أشار الإمام إلى طرفي الصراط المستقيم فإنما كان يعني هذه الحقيقة الجوهرية القائمة في كون الحق الكلي مطروحاً على الدوام ، وفي كل لحظة . . إنه الغاية النهائية . والصراط المستقيم الواصل بين الأرضي والسماوي هو صراط غير الضالين وغير المغضوب عليهم ، « لا يقع فيه شرك ولا ظلم البتة ، كما لا يقع فيه ضلال البتة »[٤٥] . فهو الثبوتية التي تحرك كل شيء ويرتقي في اتجاهها كل شيء . وما أصحاب هذا الصراط إلاّ « الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم من الضلال والشرك والظلم »[٤٦] ، وتلك نعمة من

---

(٤٥) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » (م . س) ـ المجلد/١ ـ ص٣٠ .
(٤٦) (م . ن) ـ ص/٣٠ ـ ٣١ .

أرفع النعم قدراً .

من هنا ندرك كيف أن الله تعالى « لم ينسب إلى نفسه أزيد من صراط مستقيم واحد وعَدَّ لنفسه سبلاً كثيرة »[٤٧] فقال عزَّ من قائل : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلَنا**﴾[٤٨] ، فَعَدَّ السبلَ كثيرة والصراطَ واحداً ، غير أنه متحد في كل منها اتحاد الروح في الأبدان المتكثرة ، ومُسْتَكِنٌ جميع الطرق الهادية إليه[٤٩] . وكما « أن الصراط المستقيم مهيمنٌ على جميع السبل ، فكذلك أصحابه الذين مكنهم الله تعالى فيه ، وَوَلَّاهم أمر هداية عباده »[٥٠] . والهداية إلى الصراط مرتبطة الدلالات بدلالات الصراط نفسه الموصل إلى الكلي المطلق ، وهو الصَمد المطلوب ذو الشريعة الأكمل والأوسع التي لا حكمَ ثابتاً في الأرض إلاّ حكمها ، ولا صلاح دونها ولا فلاح ، وهي دالة على ذاتها بذاتها بما هي مصعد الإرتقاء والترقي إلى أصلها والدليل عليه والمؤدي إليه .

وليست الهداية المعنية مقتصرة على حركة المؤمن الفرد فحسب ، بل تتعداها في ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾ إلى حركة جمعية هي حركة الأمة . فليس الصراط خطاً هندسياً عمودياً ، لكنه خط مركب « مَوْجِي » فيه تتوتر حركة الصراع الحضاري بين التوحيد والطواغيت ، وفيه تاريخ هذا الصراع ، وفيه موجات تفاعل النقص والكمال والإمتياز ، وفيه تفاعلات الوحدة والكثرة وتمثلاتها ، كما يتضمن ضميماً من الحقوق وفيها حق المسلمين في الدعوة إلى التوحيد واقامته ، وحق انفاذ أحكامه وشريعته ودولته ، وحق حرياتهم بما هي كل لا يتجزأ ، وأساس لحرية كل المستضعفين والمظلومين في العالم . . . الخ . ولا يكون ذلك كله متحصلاً إلاّ في دورة شاملة وكلية وارتقائية في اطار الحركة اللولبية الجاهدة في طريق هداية الناس قاطبة ، تعبىء فيها حضارة الحق الإلۤهي كل دائرة من دوائرها حتى الجمام ، لا تنفصل فيها عبادة الفرد عن عبادة

---

(٤٧) (م . ن) - ص٣١ .

(٤٨) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٤٩) الطباطبائي ، محمد حسين - (م . ن) - ص/٣١ - ٣٣ .

(٥٠) (م . ن) - ص/٣٤ .

الأمة ، ولا حركته عن حركتها ، بل تتزاوجان وتزدوجان وتتكاملان على طريق ما أسماه الإمام الخميني : « مبدأ النور » . هكذا تغدو صلاة المسلم ذاتها ، على سبيل المثال ، عبادة ثورية ، وحقيقة ثـورية ، ومـوقفاً ثـورياً في اتجـاه الهدف الكلي ، وجهاداً إليه ودعوة ، وكذلك تتكامل في عبادات الأمة الشاخصـة إلى الهدف نفسه والمـرتقية في حلقـات التعبد لـه وانفاذ مشيئتـه في خلقه وتحقيق مشروعه . وهكذا يتطور المشروع الإسلامي ، ويتنامى بحركة الأمة الجمـاعية ويعبورها التاريخي من حلقة لولبية أدنى إلى حلقـة لولبيـة أعلى ليعم العالم ، وتتحقق أهداف الإستخلاف الإلهي للإنسان على الأرض .

وفاق هذه الرؤية تتوحد الـدعوة والاستنهـاض والثورة والـدولة في مـدار محوري واحد ، فلا تكتفي احداها بذاتها أبداً ، وتغدو الدعوة حكماً دائمـاً ، والثورةُ مستمرةً ، والحكومةُ الإسلامية دائمةَ النماء والاتساع والتقدم في تـلازم ايقاعي متوازٍ ألا يتخذ الشعار المسمى ـ بتعبيـر عربي غيـر دقيق ـ : « تصديـر الثورة » محتواهُ من هذا البعد المنهجي ؟

إن المشروع الإسلامي الـذي كان مبعث الإمـام ومنطلقـه ، ويسبب من جهوزيته الإلهية ، يختزن في ثناياه ، بلا ريب ، كل مـراحل الثـورات بشكلها الكلاسيكي دفعة واحدة . كذلك كان ـ بالإسلام ـ منـذ بعثة النبي (ص) وحتى انتقـاله إلى الـرفيق الأعلى ، وفي ثـورة الإمـام الحسين وجهـاد الأئمـة عليهم السلام . وكذلك هو في ثورة الإمام الخميني عندما بدأها في كـل شيء وعلى كل شيء ، من الإسلام ، بالإسلام ، إلى الإسلام ، لاسقاط كل الطواغيت . فمنذ اللحظة الأولى قام بفعل الحض والدعوة والتثوير ليحكم الإسلام .

إنه في صلب دائرة التثـوير التكـاملي ، بحيث تمثل كـل نقطة في هـذه الدائرة كلَّ أنشطة الثورة وتفاعلاتها بغية ايصالها إلى الهدف المنشود .

رَكْبُ الأمة كله يَحْدُو في مسيرة التوحيد الواعدة .

في هذا المنهج الوحدوي التـوحيدي يمكننـا ـ اصطلاحـاً ـ الكلام على موضوعات في الثورة الإسلامية القابضة على المشروع الحضاري للإسلام ، أو

على مفـاهيم تثويـر هذا المشـروع ، وليس على مراحله ، فنـدرس موضـوع/ مفهـوم التبليغ والاستنهـاض ، وموضـوع/ مفهوم الثـورة ، وموضـوع/ مفهـوم الحكـومة والـدولة ، مؤكـدين على مسلمة سبق لنـا وناقشنـاهـا ، وقـوامهـا أن الإسلاميَّ في مسألة الفكر متحدرٌ من الإلٰهي ، ومُتَنَزِّلٌ عنه ، اضافة إلى اعتقادنا بتعذر فصل « النظرية » عن التطبيق هاهنا ، وبالتالي تعذر إمكانية الحديث عن مفهوم / تَصَوُّرٍ مستقل عن « كيفيته » وأهدافه . قال تعالى : ﴿**إليه يصعد الكَلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ**﴾[٥١] . فـالكلم الطيب هـو « الإعتقادات الحقـة التي يَسْعَدُ الإنسان بالإذعان لها وبناء عمله عليها . . وهي التوحيد . . . ثم ان الإعتقاد والإيمان إذا كـانا صـادقَيْنِ حقاً ، صَـدَّقَهُما العمـل ولم يُكَذِّبْهُمـا . . فالعملُ من فروع العلم وآثاره التي لا تَنْفَكُّ عنه »[٥٢] بمـا هو معـرفة بحقـائق الإعتقاد والإيمان . و « إذا آمن الإنسان بالله تعالى ، ورآه بعين القلب كما يرى الشمس ببصره فإنه من غير الممكن أن يرتكب أي ذنب » أو معصية ـ وفاق رأي الإمام الخميني[٥٣] . وليست العبادة بالنسبة إلى العابد الحقيقي سوى « عَهْدٍ » وما الحياة إلاّ ساحة الوفاء بهذا العهد[٥٤] .

قياماً للوفاء بهذا العهد ، وتَشَبُّثاً بأصوله التكوينية وبنموذجيته الحضارية ، واتحاداً فيها ، تَجَلَّت إماميَّةُ الإمـام ، فإذا بـه أنموذجٌ للعـالم الفقيه المسلم ، ونمـوذج للعـارف المسلم ، ونمـوذج للمستنهض المسلم ، ونمـوذج للثـائـر المسلم ، ونموذج للعابد المسلم العاشق لعبوديته ، ونموذج للقائد المسلم . . إنـه نموذج لـلإنسان الإلٰهي الـذي تتوحـد فيه هـذه النماذج الحضـاريـة كلهـا وتَتَذوَّب .

---

(٥١) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .

(٥٢) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » (م . س) ـ المجلد /١٧ ـ ص/٢٣ .

(٥٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الجهاد الأكبر » ـ الترجمة العربية ـ ص/٦٢ .

(٥٤) المطهري ، مرتضى ـ « المفهوم التوحيدي للعالم » ـ (م . س) ـ ص/٧٠ .
ـ أنظر أيضاً :
ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٦٨ ـ ٦٩ .

القسم الثاني

تمهيد

الإستنهاض والدعوة/ تثوير الجوّاني والمشروع الحضاري الإسلامي :

لم يَعْرِف التاريخ الإسلامي بعد الأئمة ، قائداً ومُفَجِّراً لثورة ، تحققت أم لم تَتَحقَّق ، برؤية ثاقبة مَهْدِيَّةٍ وهادية بـالمستوى الـذي تجلت فيه رؤيـة الإمام الخميني . وليس هـذا الحكم إسقاطـاً عـاطفيـاً ، ولا صـادراً عن حـالـة ولاء شخصـانية ولا هـو مجرد عـلاقـة بين مقلِّد ومقلَّد ففكـر الإمـام وسيـرة جهـاده الطويل ، ومسيرته العلمية والسياسية والشخصية ، هي بذاتها تَحَدٍّ كبير للباحثين الموضوعيين ، فَلْيَسْبـروا أغوار هـذا الرجـل التاريخي ، ولـو كانـوا في موقـع الخصم الإيديولـوجي ، ويتبينوا مـدى الغنى والتنوع اللذين تميـزت بهما هـذه الشخصية الإسلامية التاريخية .

هو ذا المشروع الحضاري الإسلامي ، وهو ذا الإمام نصّاً وفكراً وعمـلاً وروحـاً ، وهي ذي الأمة التي وقفت خلفـه حيّـاً مستَنْفَـرة مستجيبـة ، وشيعتـه بملايينها الكثيفة تشييعاً فريداً إلى رضوان الله ، وها هي اليـوم مستنفرة شـاكية السلاح لحراسة خطه ونهجه ، والإعتصام بمشـروعه/ مشـروعها الـذي أصبح أمانة في عهدة الأمة كلها ، وها هو الإسلام يمسك بزمام المبادرة من جـديد ،

وقد أعاد نصب راياته حتى في قلب الغرب الذي خاض ضد فكر الإمام وثورته حروباً لا هوادة فيها ، وعلى كل المستويات .

كان كل شيء واضحاً في عقل الإمام وقلبه : الأهداف الجهادية وقضايا الاستنهاض ، المستَنهضون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً ، جهوزية مشروع الاستنهاض والتنفيذ ، أدواتُ التنفيذ وقواعده بعديدها البشري وعناصرها المعنوية ، إقامةُ الحكومة وتنظيم الدولة . . . الخ . كل ذلك إلى درجة يُخَيَّلُ فيها للباحث المُتَتَبِّع لنصوص الإمام ، أنه يكاد يسمي الشخصَ المناسب لكل مهمة مندوبة ، والمسؤولَ عن كل شأن من شؤون تأسيس الحكم والإدارة والوزارة والقضاء والسياسة . . . ومن يقرأ الباب الأخير من كتابه « الحكومة الإسلامية »[1] لا يعوزه مصداقُ لما نزعمه . فقد أجاد الإمام تشخيص العلل بمقدار ما أجاد في معرفةِ الأدواء ، وأتقن معرفة ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث في مسار الأمة بقدر إتقان امتلاكه للخيارات الواقعية والصائبة في التصدي والمواجهة والحسم ، وأدرك حركة القوانين والسنن الإلٰهية في الناس ، فما طاشَ عن هدف ، وما فَتَّتْ من مَضاء عزيمته عقبة أو صعوبة ولا أعوزته في القرارات الخطيرة والمواقف المعقدة بشجاعة الحكيم العارف وجراءة المُواجِهِ الذي لا يهون ولا يلين ، مهما عزت التضحيات وغلت .

استراتيجية متكاملة كاملة وَضَعَ ، وقد أَثْبَتَتْ دقتها ومصداقيتها فيما بعد على الملأ ، وأحياناً من خلال حركة التفاصيل .

وبقدر احاطة الإمام بأهداف مشروعه الكبير ، كانت معرفته بخطط التنفيذ ووسائله وأدواته . . لقد أدرك رضوان الله عليه ، واعياً كل الوعي لطبيعة التجربة التبليغية النبوية وظروفها البالغة التعقيد ، واستناداً إلى الوصايا والتعاليم القرآنية الشريفة ، أن الدعوة إلى سبيل الله تقوم بالحكمة والموعظة الحسنة . فنحا نحو الرسول (ص) داعياً ومبشراً ومحرضاً ومربياً ونذيراً ومعلماً وقدوة . . . كما الأنبياء والصديقون ، خدمة للمبدأ والعقيدة ، لا يَخشون في الله أحداً :

---

(١) أنظر : ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ (م . ن) ـ ص/١١٩ وما بعدها .

﴿الـذين يبلّغون رسـالاتِ الله ويخشونـه ولا يخشون أحـداً إلاّ الله وكفى بـالله حسيباً﴾[2] .

ولم تكن المهمة سهلة بالطبع في مجتمع مقهور سكوني وحكومة طاغوتية وظروف بالغة الصعوبة . إذْ كان على الإمام أن يكون بمثابة العاصفة التي تعيد تحريك مستنقع مسقوف ، وتحوله إلى طوفان طامٍ من خلال تنوير جوانبه الفرد والأمة ، وعن طريق إعـادة ضخ الـدم المعافى إلى العـروق المتصلبة والقلوب المجففة والأفكار التائهة وكان المطلوب من الإمام ـ قدس سره ـ أن يعيد وصل ما انقطع بين الأمة وعقيدتها وتاريخها وذاكرتها وذاتها ، أيْ أن يعيد بناء ما تهدم بينها وبين معرفة دينها وأحكامه بما هي وثيقة الترابط بعضها ببعض ، بحيث لو أخل بأمر واحد ، فكـأنما أخـل بجميعها نـظراً لكمال التـرابط والتماسـك فيما بينها ، وذلك بالرغم من تمايزها في الدرجة داخل البنيان التوحيـدي كما كـان مطلوباً منه ، استطراداً ، أن يعيد هدايتهـا إلى السبيل المؤديـة إلى الحق . . . إلى الصراط المستقيم بالمعنى الذي سبق ونوهنا به .

رسـالة كـاملة متكاملة اضـطلع بهـا الإمـام بـدءاً من المعـارف الأصليـة والأصول الخلقية ، وصولاً إلى الأحكام الفرعية العامة لجميع حركات الإنسان وسكناته ، مُثوِّراً بها العقول والنفوس والأفئدة المستغلقة المستكينة ، فلم يترك عبادة إلاّ وأعاد توأمتها « بسياسات الإسلام وتدبيراته الإجتماعية »[3] ، وفاق ما أمر القرآن به ، ولم يغفل حوافز أو دوافع باطنية إلاّ أنضجها وحركها ، ولم يَدَعْ بَيِّنَةً في العقائد الحقة والأنظمة وطرق الجهاد والنضال وبرامج العمل والحـركة إلاّ أعاد بعثها وشظّاها ، ولم يهمل حجة الحق إلاّ استلّها وجادل فيها ، ولم يعانِ تاريخ التوحيد من مأساة أو مصيبة أو عذابات إلاّ توسّلها بهدف استنهاض الناس واعادة تربيتهم ورصِّهم في صف الحقيقة والحق تحقيقاً للأهداف الإلْهية وخدمة لقضايا الحرية والعدالة في العالم بأسره[4] .

---

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٩ .
(٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٥ .
(٤) (م . ن) ـ ص/١٢٧ ـ ١٣٤ .

انـه التبليغ الشـامل بـالرسـالة الشـاملة القاضيـة بأسلحـة كـل شيء في الوجود ، وباستنهاض كل الفطرة الإنسانية وقابلياتها الأصيلة إلى الهدف الإلهي الأوحد ، بالمشروع الحضاري الإنساني للإسلام .

لقـد ثوَّر الإمـام حقاً ثـلاثين مليونـاً على الأقل من شعب عـدده خمسـة وثلاثون مليوناً[٥] ، كما يقول الشهيد مرتضى المـطهري[٦] ، لكنـه في آنٍ معاً كان يسعى إلى تثوير مليار مسلم مشتتين في شتى أرجاء الأرض جاهـداً في لم شعثهم وتوحيدهم وتحريرهم أنفساً وأرضاً بالسعي الحثيث والجدي « لتشكيـل الحكومة الإسلامية »[٧] .

وكان لا بد من بداية ينتقل بها المشروع الحضاري الإلهي من جديد إلى الأفق الصـالح الـذي يسترد فيـه انتعاشـه واشراقـه . إلّا أنهـا بـدايـة عمليـة : « علينـا . . أن نبدأ عملنـا بالنشـاط الدعـائي ونتقدم فيـه » ـ وفاق قـول الإمام الخميني[٨] ـ ، والبـدايـة العمليـة تتجسـد في بعث الأفكـار ونقلهـا تنفيــذاً ، « فالأفكار تبدأ صغيرة ، ثم تكبر ، ثم يتجمع حولها الناس ، ثم تكتسب القوة ، ثم تأخذ بيدها زمام الأمور »[٩] ، « لتقوم حكومة الأفكار »[١٠] وتتحقق أهدافها وتظهر نتائجها المطلوبة ، بما هي حكم الله في الأرض .

ثمة رباعية متكاملة إذَنْ في هذا الإنطلاق المنهجي ، وهـو بذاتـه موقف حضاري يعكس الرؤية الحضارية الإسلامية لأي عمل تغييـري شامـل . وقوام هذه الرباعية : الأفكار ، والتبليغ ، والناس ، والعمل على اقامة حكومة الأفكار ومؤسساتها . وبذلك يحدد الإمام أبعاد اندفاعه على مستوى القضية والموضوع

---

(٥) كان عدد سكان إيران أثناء انتصار الثورة الإسلامية خمسة وثلاثين مليون نسمة .

(٦) المـطهري ، مرتضى ـ « مقالات حـول الثـورة الإسـلاميـة في إيـران » ـ (م . س) ـ ص/٢٠ .

(٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١١٩ .

(٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ ص/١١٩ .

(٩) (م . ن) .

(١٠) (م . ن) .

والـوسيلة والهدف ، فـلا تعود الأفكـار ، وهي عند الإمـام منبثقة من الإسـلام وتتشكل قاعـدتها الثقـافية من عقيـدته وشـرائعه وقيمـه وأهدافـه ، معزولـة عن النـاس . إذْ ينبـري العمـل التبليغي والـدعـوي ليجعلهـا حضـوراً فعليـاً بين ظهرانيهم ، ويُحَوِّلها إلى ثورة ثقافية وحضارية تنتج حكومة « الأفكار الإلٰهيـة » بكل ما يترتب عليها من متغيرات ونتائج في شتى الشؤون .

إن الإنطلاق من الأفكار يرد سجالات الفكر السياسي التقليدي والمعاصر إلى منـاقشة مصـداقية الأفكـار ذاتها ، لا الإستغـراق في بحث مواقف أتبـاعها ومسـاجلة مـواقـع أطـرافهـا . فعـلامـات الإستفهـام الجـديـدة لم تعـد معنيـة بالممارسات والتطبيقات الحزبية والجبهويـة فحسب ، بل أضحت تـطال أصل الأفكار وحقيقتها وأسسها .

لقد استرجع الإمام ـ رضوان الله عليه ـ إذَنْ حضور الفكر الإسلامي إلى قلب الصراع الفكري والحضاري من جديـد ليباغت الفكـر المضاد في عـرين وجوده ، مقدماً بدائله وحلوله الإلهية ، رافضاً لأكثر ما بات عند الناس مسلمات وثوابت فكرية وسياسية بفعل مضاعفات نتائج الهزيمة الحضارية وتسلط النموذج المضاد وتضليله .

الفصل الثالث

قضية الاستنهاض

وأهدافه

قضية الإستنهاض وأهدافه :

ثمة مُسَلَّمَةٌ مرجعية لا تغيب قط عن فكر الإمام ومنهجه ، فهي محورهما وموئِلُهما . إنها المشروع الحضاري للإسلام المحتضنُ لرسالة التوحيد قضيةً ؛ أما أهدافاً فإنها تتلخص في هدف رئيس واحد هو : إقامة الحكومة الإسلامية .

لكنَّ هذا الهدف ليس كياناً ذاتياً منفصلاً ومعزولاً عن مجموعة أهداف أخرى تكامليةٍ وتأسِيْسيَّة قوامُها : إقامة العدل والقسط بين البشر ، وتحقيق حريتهم واستقلالهم عن كل التبعيات الداخلية والخارجية . وبهذا المعنى ، ليست إقامة الحكومة الإسلامية غاية بذاتها بالعنوان الذي عرفته الثورات التاريخية : « الإستيلاء على السلطة » ، بل هي وسيلة يُراد بها « تنفيذ أمر الله وإقرار النظام العادل »[1] المتمثل بقضية التوحيد ، وفاق ما نَصَّت عليه الشريعة الإلهية ، وكُلِّفَ بتحقيقه الأنبياء والرسل الذين ما اختارهم الله سبحانه إلاّ لهدف حقيقي « هو إقامة العدل والقسط في الناس ، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية . ولا يتم ذلك إلاّ بالحكومة التي تنفذ الأحكام . وهذه الحكومة ، كما

(١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٥٤ .

أنها تتمثل في شخص النبي أو الرسول ، فإنها تتمثل كذلك في الأئمة (ع) وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم » ـ كما يقول الإمام الخميني[٢] .

للتوحيد تقوم إذَنْ هذه الحكومة ، وتنفيذاً لنظامه الأصلح ، وامتثالاً لِمُنَزِّل هذا النظام ، وإذعاناً لأمره ، وصوناً لشريعته من الإبعاد والتحريف فالإنحراف ، واستنقاذاً لمشروعه وأهله من الأخطار المحدقة بهم[٣] . وطالما كان الإمام يردد الآية الكريمة : ﴿قُلْ : إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله﴾[٤][*] . والقيام لله لا يكون إلّا بالإلتحام في صراطه ، والإنضواء في عدل دولته ، فهي الأمينة القمينة بتحقيق سعادتهم وأمنهم ورفاهيتهم ، وهي وحدها الدولة الشرعية[٥] . وبذلك لا يتخذ السياسي شرعيته إلّا من الإلهي ، كما كل شيء في الوجود .

ولأن الإسلام دين الفطرة الإنسانية ، فسياسته إلٰهية ، ودولته إلٰهية عالمية ، وشرائعه الأخلاقية إلهية مقررة « لصنع الإنسان »[٦] ، وثورته إلٰهية ؛ وهي ، وإنْ كانت من أجل العالم الإسلامي بالدرجة الأولى ، فإنها ، بالدرجة الثانية ، من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل التحرر ، وبالتالي فهي من أجل الذين يريدون إدارة مجتمعهم بالإستناد إلى القيم والضوابط الدينية الإلهية »[٧] . إنها ثورة إلهية شاملة لحكومة شاملة هي « حكومة المستضعفين ، والحكومة العالمية للإمام المهدي صاحب الزمان »[٨] ، بما هي المرحلة الأخيرة في مآل الوعود التكوينية للرسالة .

---

(٢) (م . ن) ـ ص/٦٨ .
(٣) (م . ن) ـ ص/١٢١ ـ ١٢٢ .
(٤) سورة سبأ ، الآية : ٤٦ .
(*) ـ راجع :
ـ رهبر ، حجة الإسلام ـ « نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران » ـ ص/٢٠ .
(٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/١ ـ ص/١٩٧ .
(٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٧ .
(٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/٨ .
(٨) (م . ن) ـ الجزء/٤ ـ ص/١٤١ .

تلك هي الأبعاد البنيانية في المشروع الحضاري للإسلام التي تبدأ ببداية الكـون على خط الـرسـالات السمـاويـة ، وانتهـاءً بـدولـة صـاحب العصـر والزمان (عج) ، « تسير بالناس في النور ، وتُلَوِّح بيدها إلى القمة التي لا يوجد مسلم لا يراها ، أو لا يملك صورة محددة عنها . مما يجعل الفرد المسلم ، في اطار التعبئة الحضارية الإسلامية ، مطمئناً إلى طريقه ، واثقاً بهدفه »[9] الكبير الذي هو هدف المسيرة « للجماعة البشرية الصالحة »[10] .

عقيدة واحدة من لَـدُنٍ أَحَديٍّ واحـد بمشروع إنسـاني واحد وديـنـامي لا ينفك يبدع ويتطور ويخصب لخير البشر قاطبة .

إن اقـامة الـدولة هي صلب مشـروع الإسلام للعـالم بكل خصـوصياتـه الحضارية بما هو آخر الأديان السماوية وأكملها ، وحامل الأحكام الأكمل . وها هي حكومته الإسلامية حكومة من نوع خاص ونظام خاص ، لا نموذجَ يشبهها في النماذج الحكومية وأصناف الدول التي عرفتها حضارة الـطواغيت : « فهي ليست حكـومة مـطلقة يستبـد فيها رئيس الـدولة بـرأيه ، عـابثاً بـأموال النـاس ورقابهم . . وانما هي حكومة دستورية ، لا بالمعنى الدستوري المتعارَف الذي يتمثل بالنظام البرلمـاني أو المجالس الشعبيـة ، وإنما هي دسـتـورية بمعنى أن القائمين بالأمـر فيها يتقيـدون بمجموعـة الشروط والقـواعد المبينـة في القرآن والسنّة ، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام الإسلامي وتطبيق أحكام الإسلام وقوانينه . ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلٰهي »[11] . وإذا كـانت الحكومـات الدسـتورية ، الملكيـة منها والجمهـورية ، تعتمـد في تشريعها على ممثلي الشعب ، أو ممثلي المَلِك ، الذين يتولون وضع القوانين والشرائع ، وفاق ما يسنه البشر للبشر ، فإن سلطة التشريع في حكومة الإسلام ، « تنحصر بالله عز وجل ، وليس لأحد ، أيّاً كان ، أن يُشرِّع ، كما ليس لأحد أن

---

(٩) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ (م . س) ـ ص/١٩٩ .
(١٠) (م . ن) ـ ص/١٧٨ ـ ١٧٩ .
(١١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٤١ .

يحكم بما لم ينزل الله بـه من سلطان »[١٢] ، وحكم الله نـافـذ في جميع الناس[١٣] : ﴿فمن اتبع هُداي فلا يضل ولا يشقى * ومن أعرضَ عن ذكـري فإن لـه معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[١٤] .

ان الإمام الخميني وهو يؤكـد هذه التميـزات في الحكومـة الإسلاميـة ، بـاعتبار مـا يجب أن يكون ، فـإنما يتمثـل حقيقة النـظام الإسـلامي في الفهم القرآني ، استناداً إلى أن هذا النظام عبارة عن « مجموعة من القوانين والنـظم التي تـطابق نظام الخِلقـة والتكـوين »[١٥] بشمـوليتـه واحتـوائـه فعيش الأفـراد والجماعات . أي أنها تحاكي الثوابت في البشر بعيداً عن أهوائهم ومصالحهم وغرائزهم وفردانيتهم أو ارادة أكثرهم ، « بل انها تسلب حق التبديل والتغيير من أية سلطة وتسلم مقاليد الأمور إلى النظام الكوني . . إلى إرادة الله »[١٦] .

أما ما يتغير ويتبدل من مصـالح النـاس تبعاً لتغيـر أحوالهم وظـروفهم ، واختلاف أمكنتهم وأزمنتهم ، فإن الحكـومة الإسـلامية تنيـطه « برأي الحـاكم الشرعي الذي يشخص الإحتيـاجات ضمن اطـار المصلحة الـزمنية وفي ضـوء الأحكام الثابتة للشريعة . وليست هذه الأحكام المتغيرة من الدين والشريعة في شيء »[١٧] .

ان تحقق الهدف الرئيس المتمثل بنجاح الاستنهاض الإسلامي الشـامل وقيـام حكومـة الإسلام بـالثورة الإسـلامية مؤدٍ بـالضرورة « إلى تـوحيـد الأمـة الإسـلامية ، وتحـرير أراضيهـا من أيدي المستعمـرين ، واسقاط الحكـومـات العميلة لهم . . . ان تشكيـل الحكومـة ، إذن ، يرمي إلى الإحتفـاظ بـوحـدة

---

(١٢) (م . ن) ـ ص/٤١ ـ ٤٢ .
(١٣) (م . ن) ـ ص/٤٢ .
(١٤) سورة طه ، الآيتان : ١٢٣ ـ ١٢٤ .
(١٥) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي » ـ (م . س) ـ ص/١٠ .
(١٦) (م . ن) .
(١٧) (م . ن) ـ ص/١٩ و ١٣ .

المسلمين بعد تحقيقها »[١٨] ، فلا مناص ـ عند الإمام ـ من قيام الدولة الإسلامية لتحقيق الوحدة الإسلامية والمحافظة عليها . ثم ان هذا التحقق يعني أيضاً انتصار منطق المظلومين على منطق الظالمين باسقاط الظلم أينما كان والغاء لوازمه وآثاره وتحقيق العدالة بمفهومها الإلهي الشامل لشتى أبعادها السياسية والحقوقية والإجتماعية والإنسانية . « فالأمة الإسلامية تعتنق مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين : لا تَظلمون (بفتح التاء) ولا تُظلمون (بضم التاء) » ـ وفاق تعبير الإمام الخميني[١٩] . ولطالما ترددت أصداء هذا المبدأ في نصوصه ونداءاته : « يا مسلمي العالم . . . ويا مستضعفي الأرض ، هيا إلى النظام الذي جاء من قبل الله تعالى لتقدمكم وتكاملكم ، ولسعادتكم في الدنيا والآخرة ، ولإزالة الظلم ، وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم ، ولأجل التربية والتعليم الإنسانيين ، ولأجل حرية واستقلال أقطاركم . . . ذلك النظام الإلٰهي المسمى بالنظام الإسلامي »[٢٠] .

كما أن تحقق ذلك الهدف الرئيس مُقْتَضٍ ـ كذلك بالضرورة ـ تحققاً لهدف شامل آخر آيِلٍ إلى الانعتاق من كل التبعيات النفسية والدنيوية والشخصية ، وإلى انبعاث الحرية الأصيلة في الإنسان بمفهومها الإسلامي لا بمفهوم الحضارة النفعية القائلة بـ « السعادة الدنيوية كمثل أعلى . انها « الحرية الحقيقية » ـ بتعبير العلّامة السيد محمّد حسين الطباطبائي[٢١] ـ ، لأنها عتق من قيود العبودية لغير الله ، وانتزاع لتسلط النزوع الحيواني والإنصياع

---

(١٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٣٥ .
(١٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٣ ـ ص/٦٥ ـ ٦٦ .
(٢٠) (م . ن) الجزء/٤ ـ ص/١١٤ .
أنظر أيضاً : ـ (م . ن) ـ الجزء/١ ـ ص/١٨٢ و١٨٣ و١٨٥ و١٨٦ و١٨٧ و١٩٣ .
ـ والجزء/٢ ـ ص/٨ و٢٦ و٤٠ و١٥٦ .
ـ والجزء/٤ ـ ص/١٤١ .
(٢١) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي » ـ (م . س) ـ ص/٤١ .

الغريزي لِتَرْفَعَ الإنسان إلى دور المتحكم في شهواته ونزعاته على مستوى « كتاب الفرد » . أما على مستوى « كتاب العالم » ، فهي تَحَرُّرُ الشعوب من الإستعمار والاستعباد ، وإلغاءٌ للتحكم الطبقي وقطع سل وأسباب الإستكبار والتسلط على الضعفاء ، فلا افراط ولا تفريط[٢٢] .

لكن قيام الحكومة والغاء الرق الثقافي والسياسي والإقتصادي ليسا نهاية المطاف في مسيرة المشروع الحضاري الإسلامي ، بل هما دائرة ابتدائية من دوائر الكدح إلى الله سبحانه ، على طريق بناء الدولة الإسلامية العالمية وتحرير الدنيا بأسرها واقتلاع الظلم بكل أنواعه وتجلياته . فالمسيرة كؤود وطويلة لا ينقطع فيها الجهاد بركنيه . يقول الإمام : « ما دام صوت لا إله إلاّ الله ، محمد رسول الله لم يُطَبِّق العالم . . فالجهاد قائم »[٢٣] ، وذلك حتى تحقيق السيادة الشاملة للمبدأ » . فالله هو الحاكم ، وهو المشرِّع ، وتتجلى حاكميته في حاكمية شريعته وحاكمية من يُنِيْبُهم عن نفسه في الحاكمية[٢٤] : **﴿إن الحكم إلاّ لله أَمَرَ ألاَّ تَعْبدوا إلاّ إياه ذلك الدين القَيِّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٢٥] ، وبهذا المعنىٰ يمكن القول : ان «الإسلام هو الحكومة بشؤونها ، والأحكام هي قوانين الإسلام»[٢٦] باعتبارها أوامر الله ونواهيه ومتكفلة بحفظ سيادة القانون الإلهي وبسط العدالة الإلٰهية بين الناس وتحريرهم من ذل التبعيات إلاّ لله لا شريك له ، فروح التعاليم الإسلامية هي التحرر والحرية[٢٧] ، وها هو التاريخ الإسلامي حافل بالأحداث والمظاهر المختزنة لهذه الروح بأعظم تجلياتها ، وقبل الثورة الفرنسية وتنويعات المبادىء التحررية

---

(٢٢) (م . ن) .
(٢٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/٢ ـ ص/٣٠ .
(٢٤) الحسيني ، مهدي ـ « القيادة في الحكومة الإسلامية » ـ ص/١١ و١٦ .
(٢٥) سورة يوسف ، الآية : ٤٠ .
(٢٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ « كتاب البيع » ـ الجزء/٢ ـ (م . س) ص/١٦ .
(٢٧) المطهري ، مرتضى ـ « مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران » ـ (م . س) ـ ص/٤١ .

المعاصرة والحديثة[٢٨] .

انهـا التعبئة الشـاملة حول مشـروع الاستنهـاض الجهـادي المتمثـل في الإسلام وقيام حكومته الشـرعية . فـالجهاد عصب الحـركة الإرتقـائية اللولبيـة تكاملاً مع مبدأ الوجود ، وهو دعامتها وأكثر ما يمثل وحدتها .

---

(٢٨) (م . ن) .

الفصل الرابع

ايمان الامام بقضية الاستنهاض واهدافها وبيقينه بانتصارها



إيمان الإمام بقضية الإستنهاض وأهدافها ، ويقينه بانتصارها :

قبل أن يعزم الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ ، كانت تربية الإستسلام حوله مسيطرة إلى درجة باتت معها حركة الإنتفاض وكأنها ضرب من المجهول أو اللا جدوى ، خصوصاً وأن التجارب السابقة ، وأقربها زمنياً تجربة الدكتور مصدق في الخمسينات من هذا القرن ، قد فاقمت المرارات . كان اليأس والسواد ، والتشاؤم المستقبلي تَرِيْنُ فوق كل شيء وكادت تشمل المجتمع الإسلامي في إيران برمته .

لغة المستحيل كانت جماع خطاب الأمة الهامس والجاهر ، وسياط العسف والقمع والتنكيل تُفَتِّتُ الأنفس وتأكل لحوم الأجساد التي تجرأت على اختراق الصمت المُخيم ، أو احتجَّت عليه ، أو تَمَرَّدَتَ . . والعيون الكسيرة تُفَلِّي العتمة بحثاً عن قبس ضياء فلا تجد .

من هذا المستحيل المتأصل الذي خَبَرَهُ الإمام عن كثب ، وناله من عَذاباته الكثير ، كانت صرخة الخلاص الكبير والتحدي الواثق الذي لا رجعة عنه : « يجب أن نخرج من عقول الشعب كلمة : « اللا ممكن » ، ونحل محلها كلمة : « الممكن » . . . »[1] ، قالها الإمام بكل جوارحه دفعة واحدة ،

---

(١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٠٢ .

مختصراً المشروع الإستنهاضي كله ، وفاتحاً في جدار الركون والهزيمة الداخلية ثغرة تداعيه ، فَاخْتتم بذلك الفصل الأخير من الكابوس الحضاري وَدَمَغهُ بالشمع الأحمر .

من الأصعب بدأ الإمام لا من الأسهل ، ومرة واحدة شهر سيفه ولم يغمده حتى أسلم الروح . ولم يكن متوقعاً أن يهزم فراعنة هذا الزمان بسرعة ، وأن يرسي دعائم الحرية والحكومة الإسلامية بين ليلة وضحاها . كان يعرف أن اعلان الهجرة إلى الله وبدء المسيرة الجهادية لا تدخل فيهما حسابات الزمان والمكان ، خاصة وأن المشروع الذي يشهره هو فوق مقتضيات الزمان والمكان ، وتقديرات التكتيك السياسي ، ويتطلب جهوداً مستمرة جليلة قد لا تؤتي أُكُلها بعد فترة قصيرة ، فلا يطمعنَّ أحد بالقطاف السريع والوصول إلى الهدف البعيد بالجهد السهل والتضحية الآنية المتناهية . لكن الإمام كان مؤمناً بأن بعد المسافة عن الهدف ينبغي أن يكون حافزاً جديداً للأمة لتستحث الخطى وتُسرِّعَها مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات . يقول رضوان الله تعالى عنه : « نحن لا نتوقع أن تؤتي تعليماتنا وجهودنا أكلها في زمن قصير ، لأن ترسيخ دعائم الحكومة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل وجهود مضنية . . . وإذا كان نشاطنا لن يؤتي ثماره إلا في جيل غير جيلنا ، فذلك لا ينبغي أن يثبط عزائمنا »[٢] .

إلى خط الأنبياء والقادة التاريخيين كان يشد الإمام ركب الأمة ، مُسْتنفراً فيها من خلاله سنن التاريخ التي لا تقفز فيها الأمم إلى التغيير الثوري قفزاً آلياً ، بل تواكب حركة موج جماهيرها الوئيدة التي تكتسح في طريقها العثرات والأعداء ، لكنها تصل في النهاية إلى أهدافها وصولاً واثقاً ونهائياً . فحركة الأمة تجلٍ من تجليات العقيدة التي تعتنقها . والعقيدة لا تتقدم إلاّ بخطى الواثق الثابت ، والعازم الحازم ، تماماً كما سيرة الأنبياء والرسل : « بسبب ما اتسم به الأنبياء ، والقادة من عزم وثبات وحزم ، كانت العقيدَة تتقدم بخطى ثابتة »[٣] .

---

(٢) الخميني ، الإمام روح الله ، « الحكومة الإسلامية » - (م . س) - ص/١٢٩ .
(٣) (م . ن) - ص/١٣٠ .

هكذا قال الإمام ، لأنه كان على يقين بأن الأمة التي تريد فتعزم ، قـادرة على تحقيق ارادتها . من هنا كان قوله أيضاً : « كل ما ينقصنـا هو « عصـا موسى » وسيف علي بن أبي طـالب وعزيمتهمـا الجبارة . وإذا عـزمنا على اقـامة حكم إسلامي ، فسنحصل على عصا موسى وسيف علي بن أبي طـالب أيضاً »[٤] . وما تلكم العصا وذاك السيف إلاّ تعبيـر عن رفع مـوانع التـدخل الإلٰهي وانفـاذ قوانينه الحتمية وامساك بسر النصر المؤزَّر . انهما عصا الله وسيفه .

إن شرط التحقق هو الإرادة والعزم ، والتبليغ بهمـا ، والدعـوة إليهما . وما دام الهدف إلٰهيـاً فَسُنَّة التـاريخ كفيلة بتثبيت قـانون النصـر المحتم . يقول الإمام : « إذا كان القيام إلٰهياً ، وكانت النهضة لله ، فإنها منتصرة »[٥] . وكيف لهذه العقيدة أن لا تنتصر ، وفي قلوب وعقول ونفوس حامليهـا سلاح الإيمـان الذي لا يضاهيه سلاح : « إن هذه العقيدة الإيمانية هي المنتصرة . . فلا سلاح في العالم يقابل سلاح : « الله أكبر » »[٦] . وها هو الإمام لا ينفك يستنفر دعاته وطَلَبَتَهُ ويحضهم على تبليغ الإسـلام للجميع ، « فهـو للجميع ، وستـرون أنه سيقودهم إلى الطريق السليم وينير لهم السبيل »[٧] ـ يقول لهم ـ . « وَثِقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنة وترحيباً شديداً سيستقبل به الإسلام »[٨] .

وهكـذا نـلاحظ أن إيمـان الإمـام بـأهـداف نهضتـه ، وثقتـه بتحقيقهـا وانتصارها ، كانا إيماناً يقينياً وثقة قاطعة . ولطالما ردد أمام الأمة وأمام المبلِّغين وطلبة العلوم الدينيـة : « انكم ستصلون إلى أهدافكم يقينـاً »[٩] ، « وأنا على يقين من أنكم قادرون على إدارة دفة الحكم عند تقويض أسس الـظلم والجور والعدوان »[١٠] .

---

(٤) (م . ن) ـ ص/١٣٥ .
(٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/١ ـ ص/١٥٢ .
(٦) (م . ن) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٨٣ ـ ١٨٤ .
(٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٧ .
(٨) (م . ن) ـ ص/١٢٣ .
(٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٣٤ .
(١٠) (م . ن) .

هذا الإيمان المطلق بالقدرة على نيل الأهـداف ، بالجهـاد والمجاهـدة والعمل ، لم يكتفِ به الإمـام لنفسه يتحصن بـه ويتشرنق فيـه كما النخبـويون الفردانيون ، بل أراد وعمل بلا هوادة ، أن يكون به قدوة ونموذجاً بحيث ينتقل بـه ، في نفسه وجهـاده وتعاليمـه ، إلى نفوس طـلابه ومـريديـه في الحوزات العلمية ، وعَبْرَهم ، إلى الأمة كلها . فكان رائداً في فعل الايمان هذا ، وكان النموذج الحضاري للمبلّغ المسلم الآمـر بالمعروف والناهي عن المنكر ، وفاق اقتضاء التكليف الشرعي للمسلم فرضاً عينياً ابتدائياً . يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) : « فبدأ الله بالأمر المعـروف والنهي عن المنكر فـريضة منـه لعلمه بأنها إذا أُدِّيَتْ وأُقيمت ، استقامت الفرائض كلها هَيِّنُها وصعبُها ، وذلك أن الأمر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر دعـاء إلى الإسـلام . . »[11] . ويعلق الإمـام الخميني على هذا الخطاب الإمـامي قائـلاً : « ولهذه العـظائم شرع الإسـلام وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا لصغار الأمور فقط ، مما نـرى ونسمع يومياً ، وانْ وَجَبَ انكارها والردعُ عنها »[12] .

لقد أخرج الإمام الخميني يقينه بحتمية تحقيق الأهداف التي رمى إليهـا من دائرة القناعة الشخصية والثقة بالحسابات السياسية الذاتية ليحوله إلى حـالة من التواصل العضـوي مع حـركة الأمـة والحلولية في قنـاعاتهـا ، وليرفعـه من مستوى القرار الفوقي للقائد إلى مستوى الخيار الحضاري الأصيل الذي تتقلده الأمة بحيث لا تستتم قوته إلاّ من كونه موصولاً بمرجعية شعبية تتحمل فيه الأمة مع قائدها تبعات ذات اليقين بالاقتدار على تحقيق النصر تحملاً لا تقوى على التصدي لطوفانه قـوى الأعداء مهمـا بلغت . ففي ذلك ارسـاء لنهج إسـلامي أصيل تتماهى وتتحـد فيه قنـاعات المـرجعية القيـادية المتمـاهية في الإسـلام ومنظوماته في الفقه السياسي بقناعات عامة المسلمين ، فتتلاشى المسـافة بين قرارات الإمامة ، كما في الأمور كلها ، وبين التـزام الناس وحـركتهم بها ، أو

---

(١١) أنظر :
- (م . ن) - ص/١١٢ .
(١٢) (م . ن) .

حركتها فيهم . وفي ذلك أيضاً تدريب وتربية الأمة على تأصيل الايمان بذاتها وقدراتها على تحقيق الأهداف التي طالما تعودت على الإعتقاد بصعوبة الوصول إليها ، إلى درجة الإستحالة . فإذا عرفنا مدى انضباط العلاقة وعمقها بين الإمامة والأمة في الإسلام ، وشدة تعلق الواحدة بالأخرى إلى درجة التوحد ، أدركنا حجم تأثير التفاعل بين دعوة الرأس واستجابات القاعدة ، بحيث يعيد الإمام صناعة ارادة الأمة وتصليبها ، فلا تعود قابلة للهزيمة ، أو مستسلمة لها بسهولة مهما طال الزمن . وفي هذا نلمح بوضوح مَعْلَماً بارزاً من معالم استراتيجية النصر الإسلامية التي تتصلب فيها إرادة المقاومة والقدرة عليها بفضل الحركة الداخلية للأمة ، لا بقرارات تصدر من خارج .

ان ايماناً من هذا القبيل ، لا يكون إلاّ فيضاً من الإيمان المبدئي بالله سبحانه ، ومعرفة به ، وتصديقاً ، وتوحيداً ، واخلاصاً له[١٣] . فمن الله يبدأ الإمام ، كما بدأ الأنبياء والأئمة من قبل ، وإليه يصبو ويكدح ، وله يكافح ويجاهد ، ولمشروعه في الأرض يدعو وينهض ، ومن فيضه ينهل ويبذل ، وفي توفيقه ووعده لا يرقى إليه شك أو يحط من عزيمته وهن : « كونوا جنوداً لله ، ترفرف ألوية الإسلام في كل مكان على أيديكم »[١٤] .

وليس هذا الإيمان بالله منفصلاً البتة عن المشروع الإلهي ذاته في الأرض . لكنه القلب النابض به ، يقيناً بصلاحه المطلق وخيره للبشر كافة ، واقتناعاً بثباته ولا نهائيته بما هو مشروع هداية للحياة وما بعد الحياة ، إلى درجة أن الإمام قد ذاب في المشروع الإلهي وانصهر فيه وامتزج ، حتى بات كل منهما مؤدِّياً للآخر ، وناطقاً به ، وكأنهما من طبيعة واحدة ، ويتحركان في حركة موحدة بيد القدرة الإلهية وتقدير المشيئة الإلهية ، فهما يتكلمان لغة واحدة

---

(١٣) راجع :
- ابن أبي طالب ، الإمام علي - « نهج البلاغة » - الخطبة/١ - ص/١٣٢ - ١٣٣ .
- سليمان ، سمير - « خطاب العلم والتوحيد - قراءة في خطاب العلم الإلهي من خلال نهج البلاغة » - مجلة « المنطلق » - بيروت - العدد/ ٣٥ - ص/٤٦ وما بعدها .

(١٤) الخميني ، الإمام روح الله - « الحكومة الإسلامية » - ص/١٤٥ .

ويعبران عن ذات الحقائق إلى مستوى التوحد فيها . ان انثيال الإمام في الله إلى هـذا الحد ، والـوفاء لـه ، والإنعتاق إليـه سبحانـه ، تُشَكِّلُ حقيقـة الإخلاص لربوبيته وتوحيده ، متوجهاً بكلية ذاته وأفعالـه لله وحده على أسـاس من الولاء الكلي الإلٰهي[١٥] ولتجليات آياته ، ومنها دليل هدايته للناس في الدنيا والآخرة وتعاليمه وقوانينه ، والمسؤوليـات التي أناطهـا بمخلوقيه ، حتى إذا وصلوا إلى هذا المستوى السامي من الإذعان له والإلتزام به لم يكن لهم إلّا ناصراً ومسدِّداً ومعينـاً وهاديـاً . وهو الإمـام الخميني يقـول للشهيـد مـرتضى المـطهـري في باريس ، قبيل انتصار الثورة : « لا تتصور أننا نحن الـذين نعمل هـذا [ونقوم بـالثورة] . . . إنني أرى وألمس يـد الله بوضـوح ؛ ان الـذي يشعـر بقـوة الله وعنايته ، ويسير في سبيل الله ، فإن الله يضيف إلى قوته النصر تصـديقاً لقـوله تعالى : ﴿ان تنصروا الله ينصرْكم ويثبتْ أقدامكم﴾[١٦] ، وتصديقاً لما يتحدث بـه القرآن عن أصحـاب الكهف ، إذْ يقول تعـالى : ﴿إنهم فتية آمنـوا بـربهم وزدناهم هدى﴾[١٧] ، انهم قاموا لله ، والله يربط على قلوبهم : ﴿وربطنا على قلوبهم إذْ قاموا فقـالوا : ربّنـا ربُّ السماوات والأرض﴾[١٨] . . . »[١٩] . ثم يعلق المطهري على كلام الإمام قائلاً : « انني أرى هذه الهداية والتأييد الإلٰهي بوضوح في هذا الرجـل . . انه قـام لله ، فمنحه الله تعـالى قلباً قـوياً لا يـأتيه الخـوف ولا يتزعـزع أبداً . . هـذا الرجـل العظيم الـذي ينشر في النهـار تلك البيانات الثائرة اللاهبة ، هو الذي ينـاجي ربه في الأسحـار ساعـة واحدة على الأقل ، وتُسْكَبُ دموعه بطريقة يصعب تصديقهـا . . . ان هذا الـرجل نمـوذج حقيقي مِمَّن سار على خطى علي ـ عليه السلام »[٢٠] .

---

(١٥) سليمان ، سمير ـ (م . س) ـ ص/٤٧ .

(١٦) سورة محمد ، الآية : ٧ .

(١٧) سورة الكهف ، الآية : ١٣ .

(١٨) سورة الكهف ، الآية : ١٤ .

(١٩) المـطهري ، مـرتضى ـ « مقالات حـول الثورة الإسـلامية في إيـران » ـ (م . س) ـ ص/٢٢ .

(٢٠) (م . ن) ـ ص/٢٢ ـ ٢٣ .

بهذه العبودية الثورية تتوحد يدا العبد والمعبود ويصبح العبد إلٰهياً ، والكلمة الهية ، والفعل إلٰهياً ، والأمة إلهيةً ، فينتسخ الضعف إلى قدرة ، والظلم إلى شجاعة ، والنخوة إلى حركة ، والدم إلى عبادة . يقول الإمام في هذا السياق : « في هذا الوقت خرجت يد القدرة الإلٰهية من كُمِّ العدالة ، وتبلورت في شعار « الله أكبر » وتحول شعب إيران من الضعف إلى القدرة . . وموجة الجماهير الثائرة من الناسٍ الإلٰهيين الذين اعتبروا السعادة في الشهادة ، وتضحية الدماء أكبر عبادة . . دَكوا جدار الشياطين وعرش وتاج ٢٥٠٠ عام من الظلم والإفتراس »[٢١] . . « ان الذي أعطانا القدرة ، وأعطانا كل شيء ، وأسقط جميع القوى . . هو الله . . الله مبدأ الموضوع »[٢٢] تتدخل قوته ، تبارك وتعالى ، لتنصر عباده الإلٰهيين وتُظهرهم على أعدائهم خارج مجرى العادة والمألوف من نواميس الطبيعة وتوازنات قوى البشر . « فبالحري أن ينسب ما وقع . . بأيدي المؤمنين . . إليه سبحانه دون المؤمنين »[٢٣] ، وذلك تصديقاً لقوله تعالى : ﴿فَلَمْ تَقْتُلوهُم ، ولكنَّ الله قَتَلَهُمْ ما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ، ولكنَّ الله رمى﴾[٢٤] .

لقد حمل الإمام الخميني قضايا المشروع الحضاري للإسلام وأهدافه ، إلى هذا المستوى من القول واليقين والإيمان والفعل والثقة المؤكَّدة بالإنتصار مهما طال الزمان ، فكان نموذج الدعوة والداعية ، والبلاغ والمبلِّغ المبيِّنين ، والنموذج القدوة لأولئك العلماء الربانيين الذين أشار إليهم الإمام ابن أبي طالب (ع) بقوله : « أولئك ـ والله ـ الأقلون عدداً ، والأعظمون عند الله قدراً ، يحفظ الله بهم حُجَجَهُ وبيِّناتِهِ ، حتى يودعوها نُظَراءَهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم . هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقة البصيرة ، وباشروا روحَ اليقين ، واسْتَلانوا ما اسْتَعْوَرَهُ المُتْرَفونَ ، وَأَنِسُوا بما اسْتَوْحَشَ منه الجاهلون ، وصَحِبوا

---

(٢١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٩ .
(٢٢) (م . ن) ـ ص/٩١ .
(٢٣) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/٩ ـ ص/٣٨ .
(٢٤) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

الدنيا بأبدانٍ أرواحُها مُعَلَّقَةٌ بـالمحل الأعلى ، أولئـك خلفاءُ الله في أرضـهِ ، والدُّعاةُ إلى دينه . آهِ . . آهِ شوقاً إلى رؤيتهم . . »[٢٥] .

(٢٥) ابن أبي طالب ، الإمام علي - و« نهج البلاغة » - ص/٨٠٩ - ٨١٠ .

الفصل الخامس
المستنهضون

أ ـ المشروع الإسلامي وملامح الهجر والجهل .

ب ـ جبهة الاستنهاض الأولى : صناعة الإنسان المسلم وانتظام الأمة في مشروعها .

جـ ـ جبهة الاستنهاض الثانية : علماء الدين والمجامع العلمية .

د ـ جبهة الاستنهاض الثالثة : المظلومون والمستضعفون .

المستنهضون

أ ـ المشروع الإسلامي وملامح الهجر والجهل :

إذا كان ايمان الإمام بمصداقية وعقيدة المشروع الذي استنقذه ، وبحتمية تحقيقك أهدافه ، وصوابية الدعوة إليه ، جزءاً لا يتجزأ من ايمانه المطلق بمصدر المشروع ومبدئه وأصله ، ويقينه بكونه خيراً مطلقاً ، فإن ذلك الايمان صادرٌ أيضاً عن إيمان بأهل هذا المشروع و « عشيرته » ومتقلديه وبقابليات الأمة التي تحتضنه ، بما هي مجتمع إنساني متحرك متحد فكراً وعقيدة ومذهباً وطريقاً ، لا على مستوى الفكر فحسب ، بل على المستوى العملي أيضاً . فأفراد الأمة الواحدة ـ من أي لون أو دم أو أرض ، أو جنس كانوا ، يفكرون بطريقة واحدة ، ولهم ايمان مشترك واحد ، ويتحركون باتجاه مثلٍ أعلى واحد يكمِّلون فيه ويتكاملون ، ويخضعون لقيادة سياسية واجتماعية واحدة[1](*) .

---

(١) راجع :

ـ شريعتي ، علي ـ « الأمة والإمامة » ـ الترجمة العربية ـ ص/٦٢ وص/١٧١ .

(*) قد يكون من نافل القول التذكير في هذا السياق أن المثل الأعلى مستخدم هنا بالمعنى الإسلامي الذي سبق وأشرنا إليه مراراً ، لا المعنى الذي تقول به حضارة الباطل تحت عنوان « السعادة » بما هي قيمة تعميمية أفقية ، ومثال أعلى مفرغ من أي مضمون حقيقي . فهل أهل هذه الحضارة سعداء حقاً ؟ وما مضمون هذه السعادة ـ إذا وجدت ؟! .

والأمة بهذا المعنى هي الأمة الإسلامية . والملفت أن الإمام قلما استخدم هذا المصطلح في كتاباته وخطبه ومحاضراته ، غير أنه استخدم ، بكثافة ملحوظة ، مصطلحات متعددة مثل : الناس ، المسلمون ، المستضعفون ، المظلومون ، المحرومون ، الجماهير ، أهل السوق والشارع ، والعامل والفلاح والطالب ، والجميع . . . الخ ، وذلك بذات دلالات مصطلح « الأمة » الذي اعتبره السيد محمد باقر الصدر مرادفاً لمصطلح « المجتمع »[٢] . إلاّ أن الإمام في استخدامه بعض هذه المصطلحات كان يتجاوز غالباً الدلالات التي يحتملها مصطلح الأمة الإسلامية/ المجتمع الإسلامي بما هو مصطلح مخصوص بالمسلمين ، ليضيف إليها بعداً أشمل ودلالة أعمّ ، ولتضم الإنسانية بأجمعها وخاصة في مصطلحات مثل : « المستضعفون » ، « المظلومون » ، « المحرومون » ، « الناس » ، وذلك وفاق ما يقتضيه الموضوع ومقدماته في الشأن الذي يخوض فيه .

حيال هذا التعدد المصطلحي في نصوص الإمام ، لا يلمس الباحث أي تعثر أو تداخل أو غموض في المفاهيم يمكن للتعدد أن يقود اليها ، كما هي الحال عند كثير من المفكرين المرموقين . فحركة فكر الإمام تبقى على الدوام منضبطة في سياق ثوابت المشروع الإسلامي الذي يضطلع بحمله ، ومنبثقة من نظرته الكونية التوحيدية ، بما هو هادٍ إلى أهداف دينامية متعددة تلتقي في هدف واحد كلي ، وبما هو محدِّد لمنهج تحقيقها[٣] فالهدف الكلي هو اقامة حكم الله في الأرض بنموذجه الحضاري الإلٰهي ولوازمه وأحكامه العادلة[٤] باعتبارها بسطاً للعدالة الإلٰهية بين الناس[٥] وإحلالاً للنظام الإلٰهي في العالم[٦] ، « فقد

---

(٢) الصدر ، محمد باقر ـ « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن »ـ (م . س) ـ ص/٤٥ .

(٣) المطهري ، مرتضى ـ « الهدف السامي للحياة الإنسانية » ـ الترجمة العربية ـ ص/٤٦ .

(٤) الخميني ، الإمام روح الله ـ « كتاب البيع » ـ (م . س) ـ ص/١٦ و٣٠ .

(٥) (م . ن) ـ ص/٤٦٤ .

(٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/٤ ـ ص/١١٤ .

جاء الإسلام ليوحد شعوب العالم تحت اسم الأمة الإسلامية »[7] - بتعبير الإمام - .

بهذا الهدف الشمولي الإنساني أعاد الإمام بعث المشروع الحضاري الإسلامي . فمن لوازم عقيدة التوحيد ايمان كل مسلم « بأن الدين الإسلامي سيسود العالم . . . وسيمحو آثار الكفر والإستكبار على وجه الأرض »[8] . إلا أن هذا الهدف الإستراتيجي غير متحقق إلّا انطلاقاً من تحقيق هدف مركزي دينامي يتمثل في قيام حكومة إسلامية تمهيدية حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها ، وحيث تتوفر المناخات والظروفُ الآيلة إليها . فكان أول العقد في إيران ، إذ اندلعت الثورة الإسلامية فيها على يدي الإمام الخميني نفسه بعدما أينعت مهيئاتها ولوازمها الضرورية وإثر جهاد استمر متواصلاً جاداً على مدى يناهز الربع قرن من الزمن . لكن هذه الثورة لم تكن إلّا الخطوة الأولى في المشروع الكبير بما هي ثورة من أجل العالم الإسلامي ومن أجل المستضعفين في العالم كله في الوقت نفسه .

« إن هذه الثورة - يقول الإمام - قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الإسلامي ، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم . . وبهذا المعنى فإن الثورة الإسلامية الإيرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها ، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والمميزات »[9] .

كان لا بد للثورة/ النموذج من أن تنبعث من مكان جغرافي ، شاء الله ان يكون إيران بعدما نضجت فيها مقومات الإنتفاض وأسبابه ، لكنها انطلاقة إلى كل الأمكنة ، وإلى كل الشعوب بهدف وحدوي توحيدي هو « تثبيت واستقرار

---

(٧) (م . ن) - الجزء/٣ - ص/٢١ .
- أنظر أيضاً : - (م . ن) - الجزء/١ - ص/١٣٥ - ١٣٦ .
(٨) رهبر ، حجة الإسلام - « نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران » - (م . س) - ص/٥٩ .
(٩) الخميني ، الإمام روح الله - « مختارات . . . » - الجزء/٢ - ص/٨

القيم الإسلامية وحدها »[١٠] . ولم يفارق خطاب الإمام التبليغي هذه المعادلة قط . فَلَحْظُ وحدة المشروع مرتبط عنده دائماً بِلَحْظِ وحدة العالم والإنسان . والمسلمون والمستضعفون في الأرض هم المكلفون ، وهم المعنيون بالتحرك والسعي لانفاذ حكم الله ونظامه ، وما المشروع الإلهي إلّا لاستنهاضهم وتحريرهم من كل العبوديات ، فهو الهادي المؤدي إلى الحق والعدالة والقسط وخير الإنسانية وهم المهتدون ، ودور المبلغين والقادة هو انجاز الإرتباط المعرفي بين مشروع الهداية ، والمهتدين العتيدين .

وليس المقصود هنا بأن مشكلة المسلمين والمستضعفين هي مشكلة معرفية مُجَرَّدَةٌ ومحكومة ، بتصورات الذهن والثقافة النظرية البحتة ، وهي قضية بالغة الأهمية من غير شك ، بل هي معرفية بما يعنيه الإسلام بالمعرفة غير المنفصلة فيه أبداً عن الفعل والتحقق العملي كما سبق ونوهنا به تكراراً .

المعرفة الراشدة هي المقصودة ، وبالمعنى الذي طالما أشار إليه الشهيد المطهري ، فالعلم والمعرفة شرط أول لتوفير الرشد بما هو شأن مكتسب[١١] تتحول فيه المعرفة إلى قدرة وكفاية وممارسة سلوكية ومسؤوليات مركبة[١٢] مرتبطة بذات الهدف اللامتناهي[١٣] ، ومنه تستمد وجودها ومثلها وأهدافها[١٤] . وما يعاني منه المسلمون في كل مكان ، من جهلهم بدينهم/ مشروعهم ، ومن هجرهم لتعاليمه وانحرافهم عن منهجه وأهدافه هي الأصل فيما يشكون منه ، استتباعاً وقهراً ، وتجزئة لأرضهم ، وانتهاكاً لحرياتهم ، وتشوهاً في ثقافتهم ، وفقداناً لذاكرتهم والغاءً أو افساداً لقيمهم . لقد شبَّه الإمام الخميني ـ قدس سره ـ عصر ما قبل النهضة الإسلامية بـ « العصر

---

(١٠) المطهري ، مرتضى ـ « مقالات حول الثورة . . . » ـ ص/٥٥ .

(١١) المطهري ، مرتضى ـ « مفاهيم إسلامية » ـ الترجمة العربية ـ الرقم «٣» ـ ص/٤٨ ـ ٤٩ .

(١٢) (م . ن) ـ ص/٤٩ ـ ٥٠

(١٣) المطهري ، مرتضى ـ « الهدف السامي للحياة الإنسانية » ـ (م . س) ـ ص/٤٧ .

(١٤) (م . ن) ـ ص/١٤ .

الجاهلي »[١٥] لما كان يسوده من ظلم واضطهاد وانحطاط . مما أورث الثورة الإسلامية « بلداً غارقاً في التبعية ، خَرباً ومتخلفاً في جميع المجالات ، والنظام البهلوي العميل كان قد جرَّ هذا البلد إلى السقوط مدة خمسين عاماً ، وألقى خيراته في جيوب الأجانب ، وخصص الباقي لنفسه وأتباعه وأجرائه »[١٦] . ولم تكن مجتمعات الأمة الإسلامية الأخرى أحسن حالاً من المجتمع الإيراني ، إذ ـ كان ـ يجمع بينها شبه تطابق في العذابات والمشاكل والتخلف وضياع الانتماء والهوية ، فتوحدت الآلام وخيبات اليأس .

من هنا ، كان يقين الإمام في أن التجربة الثورية لإيران نموذج للعبرة والإعتبار لدى سائر المسلمين « لأن اشتراك المجتمع الإيراني مع سائر المجتمعات الإسلامية لم يكن في التاريخ والثقافة ، أو المشاكل الناتجة عن الإستعمار وأمثاله فحسب ، بل هو ناتج كذلك عن التشابه في الواقعيات الإجتماعية الحية ، والقوى الموجودة بالقوة والفعل »[١٧] . وعندما تعاني تلك المجتمعات من ذات الداء ، فلا بد أن تكون المعالجة واحدة . ومن الطبيعي أن لا يجد الإمام المسلم سبيلاً للخلاص إلّا بما صنع الخلاص وابتدعه بابتداء رسالات الرسل والأنبياء المتنزلة من مبدإ الخلاص ذاته .

صحيح أن الإستعمار الغربي وفعل التجزئة ونتائجهما مسؤولة عن مصائب العالم الإسلامي ، لكن تحميلهما وحدهما هذا العبء ينظر إلى النتائج ، ولا يحاكم الأسباب التي تتلخص كلها في تخلي المسلمين عن مشروعهم الحضاري العالمي المتجلي في الإسلام ، وانحرافهم عن خط مساره الرباني ، وحيادهم عن التمسك بمنهجه وتعاليمه وتشريعاته ، فتاهوا عن أنفسهم وأضاعوها ، حتى إذا قدم الإستعمار ألفاهم ينتظرونه على قارعة الطريق أكثرهم أسرى مستسلمين بعد أن تداعوا من الداخل . ولم تنجح في إعاقة هذه الكبوة التي طال بها الزمن ، محاولات الكثير من الفقهاء والقادة والمصلحين

---

(١٥) الخميني الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/٢ ـ ص/١٩ .
(١٦) (م . ن) ـ ص/٢٠ .
(١٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٤٩ .

المخلصين لأسباب مختلفة لا مجال للخوض فيها في هذا المقام . أما الإسلام فكان قابعاً في الخزائن والمكتبات وقد جرى اقفاله على معتنقيه حتى بات « كثيرون من الناس ينظرون إلى الإسلام على أنه بضعة مسائل شرعية »[١٨] ، وارتجت أبواب المساجد على مناسبات قَدَّسها العامة لاقتصار معرفتهم بها على « تسطيح » تاريخي أو مذهبي بحيث فقدت جوهرها وأصالتها وتحولت إلى طقوس كهنوتية مُصَنَّمَة تتغذى من نضوبها وجفافها الأرواح التائهة والنفوس اللائذة بالمستحيل : « والله يعلم أن محبي الإسلام كثير ، ولكنهم لأكثر أحكامه جاهلون »[١٩] ـ يقول الإمام ـ . لقد سجنت هذه المحبة الصادقة بلا ريب ، روح الإسلام في إسار التقليد والجاهلية حتى أضحى غريباً مجهولاً . يقول الإمام في هذا السياق : « الإسلام اليوم غريب ليس هناك من يعرفه . فعليكم أن تقرِّبوه للناس وتوضحوه لهم ، حتى يفهم الناس الإسلام على وجهه الصحيح »[٢٠] .

لقد خضع الناس ، أو أخضعوا ، لعمليات غسل ذاكرتهم وتدجين أفكارهم لتأتلف والقيم المستوردة البديلة . الهادفة إلى « تحريف وتشويه الإسلام »[٢١] حتى « انتهى إلى هذه النهاية المفجعة »[٢٢] بعد أن تم اقتلاعه من تربته ، أوْ صَدَّ تربته عنه ، بحيث غدا الناس ـ كما يقرر الإمام ـ : « يجهلون الإسلام ولا يكادون يفقهون عنه شيئاً »[٢٣] ، وصدقوا مقولة الفصل بين الدين والحياة القاضية بابعاد رجال الدين عن السياسة والشؤون العامة . وبذلك نجحت « اعادة التثقيف المضادة » في اعادة تربية الناس تربية مزدوجة على مُسْتَوَيَي القضية : المسلمين والعلماء/ رجال الدين ، « بحيث اعتقد كثير من رجال الدين أنفسهم بأنه لا علاقة لهم بالسياسة . . وإذا تدخل أحد العلماء في

---

(١٨) (م . ن) ـ ص/١٢٧ .
(١٩) (م . ن) ـ ص/١٤٥ .
(٢٠) (م . ن) ـ ص/١٢٠ .
(٢١) (م . ن) ـ ص/٧٣ وص ١٣٣ .
(٢٢) (م . ن) ـ ص/١٢٣ .
(٢٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/٤ ـ ص/٩٨ .

أمر يهم المجتمع ويتعلق بمشاكل الناس ، أو أراد أن يقاوم حكومة فاسدة ، كان سائر العلماء الذين اعتقدوا بفصل الدين عن السياسة يطردونه ، ويعتبرونه عالماً سياسياً »(٢٤) . وبذلك تَقَزَّمت واجبات العالم الديني وانكمشت لتصبح مقتصرة على « الذهاب إلى المسجد ، وإذا صعد المنبر في المسجد ، فما عليه إلاّ أن يتحدث في الأمور الخُلُقية . . »(٢٥) .

أما على مستوى الناس فقد جرى اخضاعهم لاعادة تربية مُكَمِّلَةٍ لما أصيب به علماء الدين من اعاقة وشلل . وكان من نتائج ذلك « أن الناس كانوا يميلون إلى مثل أولئك العلماء . . فالعالم الديني ـ من وجهة نظرهم هو مَنْ لا يتدخل في السياسة أبداً لأنه لا يعرف هذه الأمور ، ويجب عليه أن لا يعرف . . . »(٢٦) .

هذا الإنحراف التربوي والثقافي كان شاملاً العالم الإسلامي كله ، وتحول الإسلام إلى « نصرانية » سياسية وإيديولوجية ، وتحول أكثر رجال الدين المسلمين إلى كهنة يضعون العمائم السود والبيض وتحولت المساجد إلى مقرات لإجراء « الطقوس » والمناسبات الدينية واقامة مراسم العبادات . وقد أدرك الإمام الخميني هذه الحقيقة المُرَّة بوضوح شديد إلى درجة جعلته يصنف اسقاطها في أوليات ما ينبغي اسقاطه بعد استلال المشروع الحضاري للإسلام من غمده ، مما طبع المسيرة الخمينية بجهادين جَوَّانيين تغييريَّين : جهاد على مستوى الناس المضلَّلين الضالين ، وجهاد مكمِّل على مستوى علماء الدين المقتلعين من جذورهم والمغتربين عن دورهم الحقيقي . ولم يكن الإمام مُغالياً في وعيه لخطورة الظاهرة ، وضرورة التصدي الفوري لها ، لأنها وحدها ، بمضاعفاتها ومستتبعاتها ، قمينة بنحر المشروع الإسلامي ، واسقاطه في واحدة

---

(٢٤) (م . ن) ـ ص/٩٨ ـ ٩٩ .
(٢٥) (م . ن) .
(٢٦) (م . ن) ـ الجزء/١ ـ ص/١٤٠ ـ ١٤١ ، وص٢٠٩ .
ـ راجع أيضاً :
ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٥ .

من مقومات بنيانه الأساسية . إذْ عندما يكون الإسلام ديناً « عبادته سياسة ، وسياسته عبادة »[27] ـ وفاق الحقيقة الإسلامية التي رفعها الإمام « شعاراً » من شعاراته ـ ، بحيث تصبح فيه السياسة معادلة للعبادة ، بل هي عبادة من عباداته ، عندما يكون الإسلام كذلك ، يمكن لنا أن ندرك حجم الآفة التي جرى ترسيخها في ذاكرة الأمة بفصل الدين عن السياسة ، وبالتالي باستبعاد علماء الدين عن السياسة طائعين أو مختارين ، أو تحييدهم عنها في أبسط الأحوال .

كان على الإمام إذنْ ، أنْ يمارس فعل الإستنهاض على جبهات ثلاث : جبهة المسلمين في داخل إيران وخارجها ، وجبهة علماء الدين ، وجبهة المستضعفين في الأرض . . هذه الجبهات الثلاث التي هي في واقع الأمر ، جبهة كبرى متناسقة ومتكاملة تتوحد فيها عوامل التخلف والتبعية والإنهيار الحضاري والتهافت القيمي التي تمعن بواسطتها حضارة الكفر والطاغوت تخريباً في روح الأمة الإسلامية ورسالتها وحضارتها ، وتصادر كنوز الأرض وجهود الشعوب ، وتَسْتَرِقُّ إراداتها والنفوس ، وتشعل الدنيا حروباً واضطراباً .

ب ـ جبهة الإستنهاض الأولى : صناعة الإنسان المسلم وانتظام الأمة في مشروعها :

على امتداد جبهة التفريط والجهل والتسلط والإستسلام المثلثة الرؤوس هذه ، طرح الإمام الخميني مشروع الخلاص والحرية بالإسلام ، وإقامة الحكومة الإسلامية في إيران معلناً استئناف المسيرة التي طال توقفها مفتتحاً بإعادة تربية الأمة وتعليمها ما جهلته عن ذاتها وتاريخها ونظام قيمها وحياتها الإلهي ، واصلاً ما انقطع من أواصر بفكرها وكيانها ، مُبلِّغاً ومعبئاً ومفكراً فقيهاً وقائداً ومربياً . وها هو يردد : « كان الإسلام مهجوراً في العصور التي تلت صدر الإسلام ، وينبغي اليوم أن تتضافر جهود جميع المسلمين . . على طريق

---

(٢٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/٢ ـ ص/١٢١ .

تعريف الإسلام ، كي يسطع وجهة المشرق الوضّاء كسطوع الشمس »[28] .

لكن اعادة تربية الأمة تترافق عنده مع إعادة تربية الإنسان فكراً وروحاً ، مقدماً القرآن دليلاً : « القرآن كتابُ تربية الإنسان . . والإسلام يصنع الإنسان . فإنسان واحد يستطيع أن يربي أمة . . وفاسد واحد يستطيع أن يفسد أمة »[29] ـ قال الإمام ـ كذلك أيضاً كانت « جميع الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء . . من أجل أن يكون هذا الموجود أحسن الموجودات وأفضل الخلائق كلها باشراف من التربية والتعليم الإلهيين . فهو لو ركب رأسه ، أو تحرك خلافاً لمسيره الطبيعي ، فسيجر العالم كله إلى الفناء . . وإذا أصبح هذا الموجود ذو الساقين موضع عناية وتربية ، تحققت جميع حوائج البشر في الدنيا والآخرة . . من هنا فإن جميع الأمور في الإسلام هي مقدمة لصنع الإنسان . . ولذا كان جميع الأنبياء معلمين ، وجميع البشر طلبة . . فالعالم كله جامعة واحدة ، وجميع البشر طلبة »[30] .

في مدى هذا الإشراق الرسالي لا تكون تربية الإنسان إلّا مقاربة لتعليمه إلى درجة الإلتصاق والترادف حتى « يكون التعليم مرادفاً للتربية »[31] فلا ينفك أحدهما عن الآخر ، ولا ينفك كلاهما عن هدفيهما العام وهو توحيد الله سبحانه وتعالى ، وبذلك وصفهما الإمام بـ « الإلهيين » في الشاهد السابق ، لأن التبصر في غايتيهما هو المعيار للحكم لهما أو عليهما . وإذا كان العلم معنياً بالفكر ، فإن التربية ضابطة ومُقَوِّمة له في المسار المطلوب حتى لا ينكسر تواصله بغايته الإلهية وحق يغدو التأديب الإلهي هيئة التوحيد في الفكر والفعل[32] وتتم عملية صناعة الإنسان الإلهي الذي جاهد له الإمام بالإسلام :

---

(28) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/1 ـ ص/33 .

(29) (م . ن) ـ الجزء/2 ـ ص/127 .

(30) (م . ن) ـ الجزء/3 ـ ص/30 .

(31) أنظر : الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ المجلد/6 ـ ص/258 وما بعدها .

(32) سورة الزمر ، الآية : 18 .

﴿فَبَشِّرْ عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب﴾[٣٣] . هذا الإنسان الإلهي الذي عرفه علي شريعتي بأنه « الموجود الوحيد في عالم الكون الذي له « روح الله »[٣٤] والمسؤول عن « أمانة الله »[٣٥] ويجب أن يأخذ لنفسه « خلق الله »[٣٦] . . . »[٣٧] .

عَبْرَ صناعة الإنسان ، وفي موازاتها ، يتوجه الإمام إلى إعادة تربية وتعليم الأمة وتوعيتها ، فيقول :

« علينا . . . أن نسعى لوضع حجر الأساس للدولة الإسلامية الشرعية ، فندعو ونبث الأفكار ، ونصدر تعليماتنا ، ونكسب المساندين والمؤيدين لنا ، ونوجد أمواجاً من التوجيه الواعي والإرشاد المنسق للجماهير ليحصل رد فعل جماعي تكون على أثره جموع المسلمين الواعية المتمسكة بدينها على أتم الإستعداد للنهوض بأعباء تشكيل الحكومة الإسلامية »[٣٨] .

في نطاق خطة العمل المحكمة هذه ، أهدافاً ووسائل ، أكد الإمام على أن القوة « لم تكن . . حليفة الأفكار من أول يوم . وفي هذا كله ينبغي أن نتخذ من الشعب بكل قواعده ، قاعدة رصينة يرتكز عليها ويركن إليها ، مع العمل الدائب على التوعية الجماهيرية من أجل فضح خطط الإجرام وكشف الإنحراف . . ويتم تدريجياً استقطاب الجماهير ، كل الجماهير ، ويتم

---

(٣٣) استناداً إلى قوله تعالى :
- ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ - سورة السجدة ، الآية : ٩ .
و : - ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ - سورة الحجر ، الآية : ٢٩ ، وسورة صّ ، الآية : ٧٢ .

(٣٤) استناداً إلى قوله تعالى : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان﴾ - سورة الأحزاب ، الآية : ٧٢ .

(٣٥) عملاً بحديث رسول الله (ص) « تخلقوا بأخلاق الله » .

(٣٦) شريعتي ، علي - « الإنسان ، الإسلام ومدارس الغرب » الترجمة العربية - ص/٤٥ .

(٣٧) الخميني ، الإمام روح الله - « الحكومة الإسلامية » - (م . س) - ص/١٢٠ .

(٣٨) (م . ن) - ص/١١٩ - ١٢٠ .

الـوصـول بعـدهـا إلى الهـدف »[٣٩] ، وتتحـرر الأفكـار والقلوب من كـل التبعيات[٤٠] .

والجدير بالإلفات في هذا المجال ، أن المتتبع لخطاب الإمـام التبليغي العائد إلى مرحلة ما قبل الثورة الإسـلامية في إيـران ، يتبين أن الإمام ، وهـو يتوجه بكلية حركتـه وفكره وجهـاده إلى الهدف المـركزي المتجسـد في إقامـة الحكـومة الإسـلامية في إيـران ، فإن هـاجسه ظـل منصـرفـاً أيضـاً إلى تبليـغ المسلمين قاطبة بالمشروع الإسلامي بكليته . فكان هذا الهاجس ـ دائماً ـ أصل بياناته وخطبه بحيث لا يخلو بيان من بياناته ، أو درس من دروسه ، أو خطاب من خطبه منـه : « قومـوا واحملوا القرآن . . واخضعـوا لأمر الله لتعيـدوا مجد الإسلام العزيز وعظمته . . قومـوا لله قيامـاً فرديـاً لمواجهـة جنود الشيـطان في باطنكم ، وقياماً جماعياً أمام القوى الشيطانيـة »[٤١] . ويقول في محـاضرة من محاضراته أمام طلبـة العلوم الدينيـة في النجف الأشرف : « عليكم أن تبـذلوا قصارى جهودكم في ايصال مفاهيم الإسلام وأنظمته إلى الناس عامة »[٤٢] . . . « إجعلوا تعـاليم الـدين الإسـلامي في متنـاول الجميـع فهـو للجميـع »[٤٣] ، و « عليكم أن تعرّفوا العـالم كله بذلـك »[٤٤] ، « خطّطوا للحكـومة الإسـلامية وتقدموا في خططكم »[٤٥] .

هـذا الإنضواء الكفـاحي ، على صعيد حـركة التبليـغ والـدعـوة ، كمـا نلاحظ ، يصل عند الإمام إلى مستوى الذوبـان في المشروع الإسـلامي ، فلا يتنفس إلاّ من خلاله ، منفتحاً به على أصحاب الحق به ، يلاحقهم إلى أقصى

---

(٣٩) راجع :
ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٤ ـ ص/٣٤ .
(٤٠) (م . ن) ـ الجزء/١ ـ ص/١٥٢ .
(٤١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٢ .
(٤٢) (م . ن) ـ ص/١٢٧ .
(٤٣) (م . ن) ـ ص/١٢٣ .
(٤٤) (م . ن) ـ ص/١٣٤ .
(٤٥) (م . ن) ـ ص/١٢٧ .

مكان في الأرض مرشداً وشاهداً ، غير مضطرب ولا متعثر . فإيمانه بهم يعدل ايمانه بشرعية مشروعهم الذي هو مشروعه في كل حال . ولا يستثني في دعوته إلى الإسلام أحداً من الأمة . وهو ، وإن خاطبها بكليتها أفقياً ، فلم يُفتْهُ التوجُّهُ أيضاً إلى شتى شرائحها العمودية من أهل الشارع إلى الحكام . فلا أحد في الأمة محسوب خارج نطاق الرسالة : « انفخوا في أهل السوق والشارع ، وفي العامل والفلاح والجامعي ، روح الجهاد ، فيهب الجميع إلى الجهاد . . الكل يطلب الحرية والإستقلال والسعادة والكرامة »(٤٦) . بذلك يوصي الإمام المبلِّغين ليوصي المبلِّغون غيرهم ، فتنتقل الحركة بالرسالة من حلقة إلى حلقة ، ومن يد إلى يد لتبلغ الهدف النهائي : « علينا أن نتواصى فيما بيننا ، ونوصي الآخرين بازالة هذا الغموض المفتعل [عن الإسلام] وهذه الرِّيَبْ التي بثها الأعداء خلال قرون سحيقة في الناس جميعاً ، وحتى المثقفين منهم »(٤٧) .

من خلال هذا الفعل التثويري الديناميٍ يقرر الإمام الخميني حقيقة مُرَّةً من الحقائق التي أماطت الثورة الإسلامية اللثام عنها عندما يعتبر المثقفين المسلمين بين ضحايا الضلال والتضليل في موقفهم السلبي من الإسلام ، إلاّ القلة بينهم . وبذلك يتساوون بما أصاب العامة على مستوى النتائج ، عندما تعبَّدوا للنموذج الثقافي والحضاري الغربي فهجروا نموذجهم الذي جهلوه ، وقرآنهم الذي لم يقرأوه ، ووقفوا على الضفة الأخرى التي لم تعترف بهم ،

---

(٤٦) (م . ن) ـ ص/١٢٢ .

(٤٧) في هذا السياق نشير إلى أن الإمام الخميني قد كسر قانوناً سوسيولوجياً سائداً في العالم منذ زمن طويل قوامه أن المثقفين هم موجهو شعوبهم ، عندما قلب المعادلة قائلاً : « إننا في عصر ينبغي أن تضيء الشعوب الطريق فيه لمثقفيها ، وأن تنقذهم من الإنهيار والضعف أمام الشرق والغرب . فاليوم يوم حركة الشعوب ، وهي التي ينبغي أن توجه مَنْ كان يوجهها من قبل . . » . أفليست الثورة الإسلامية في إيران والإنتفاضات الإسلامية الواعدة في أكثر بلدان دار الإسلام ، خير مصداق على صحة ما رآه الإمام ؟
ـ أنظر : ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٢ ـ ص/١٢٣ .

فخسـروا أنفسهم ، وضيعوا على أمتهم حقـوقهـا في الإفـادة من قـدراتهـم وعلمهم[٤٨] .

في مجال هذا التوزيع التبليغي الشامل لِفئات الأمة ، يرصد الإمام أهمية دور الجامعيين باعتبارهم « أكثر تفتحاً من غيرهم »[٤٩] ، فيـطلب من المبلّغين أن يبثوا العقيدة الإسـلامية ومشـروع الحكومـة الإلٰهية بين ظهـرانيهم « بصورة خاصة »[٥٠] فيقول : « . . . وثقوا بأن وراء ذلك نتائج حسنـة وترحيبـاً شديـداً سيستقبل به الإسلام في رحاب الجـامعيين . فالجـامعيون أشـد الناس عـداوة للتسلط والعمالة والخيانة وعمليـات نهب الخيرات والثـروات وأكل السُّحْت ، وسيجدون في الإسلام ـ الذي تُبَلِّغونـه إليهم ، وفي تعاليمـه في مجال الحكم والقضاء والإقتصاد والإجتماع ـ ما يستميلهم إليه »[٥١] .

وكمـا للجامعيين مـوقعهم الخاص في الـدعوة ، كـذلك جيـل الشبـاب عموماً ، فالمشروع الإسلامي الحضاري إذا كُتِب لـه النصر ، فَسَتَـرْتَدُّ عـواقبه الإيجابية عليهم بتحقق « المصلحة العامة للمسلمين »[٥٢] ، كما على غيـرهـم من الأجيال القادمة .

لقد حمل الإمام هذا الهم الحضاري المستقبلي بين جناحَيْه متمثلاً نهج الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ في جهاده من أجـل الإسلام والمسلمين ، ومن أجل أجيالهم القادمة على المدى الطويل ، وكان نهوضه وتضحيته من أجل نشر الإسلام ، وظهور أحكامه السياسية وتطبيق نظمه الإجتماعية على الناس جميعاً حاضراً ومستقبلاً[٥٣] . كذلك أيضاً كـان « عظمـاء الرجـال يخططون لـلأجيال القادمة ، لا يحزنهم أن يلمسوا آثار خططهم [مباشرة] ، ما دام المستقبل كفيلاً

---

(٤٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٣ .
(٤٩) (م . ن) .
(٥٠) (م . ن) .
(٥١) (م . ن) ـ ص/١٢٩ .
(٥٢) (م . ن) .
(٥٣) (م . ن) .

باعطاء النتائج والثمرات »[٥٤] . وسواءٌ عند الإمام ، أتَحَقَّقَ المشروع الإسلامي الآن ، أم لم يتحقق ، فإن الدعوة إليه في أوساط الشباب واجبة في كل حال ، فيوصي المبلِّغين الشباب « بأن يُبَيِّنوا للأجيال عالمية الإسلام وتشريعاته الإجتماعية وكل ما يحتويه من أنظمة ، وأن يتحدثوا إليهم عَمَّا شرعه في موضوع الحكومة ، كي يعلم الناس ما هو الإسلام ، وأية قوانين جاء بها »[٥٥] ، و « كي لا يَظُنَّ جيل الشباب أن أهل العلم في زوايا النجف وقم يرون فصلَ الدين عن السياسة »[٥٦] .

إن مشروعاً حضارياً بحجم الإسلام وتَمَيُّزاته ومُثُلِهِ وأهدافه التي ترافق مسيرة الإنسان حتى نهاية الكون ، يتطلب « وقتاً طويلاً وجهوداً مضنية »[٥٧] بحيث تبني فيه الأجيال حجراً فوق حجر ولو استغرق الأمر زماناً ، بل أزمنة طويلة على قاعدة « غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون »[٥٨] ، وإلى أن يحقق الله أمراً كان مفعولاً .

وفي جانب آخر من جوانب شبكة الدعوة والتبليغ في جَوَّانية الأمة ، فإن الإمام الخميني لم يهمل في حملة استنهاضه الشامل حتى حكام المسلمين الذين لم يكن لِيُعَوِّلَ كثيراً على استجابتهم لنداءاته وصرخات تحذيرهم[٥٩] . لأنه أراد أن يضع الحجة عليهم ، امتثالاً لتعليم الإسلام ، فلعله يلقى من بعضهم أذناً صاغية أو رفدَ اهتداء واستفاقة قبل فوات الأوان : « بَيِّنوا للناس برامج الإسلام وحكومته . . . . فلعل حكام ورؤساء المسلمين يقتنعون بصحة هذا ويتبعونه . فنحن لا ننافسهم على الكراسي ، بل نترك من كان منهم تابعاً أو

---

(٥٤) (م . ن) ـ ص/١٢٢ .

(٥٥) (م . ن) ـ ص/٢٠ .

(٥٦) (م . ن) ـ ص/١٢٨ .

(٥٧) (م . ن) ـ ص/١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٥٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/١ ـ ص/١٥٢ .

(٥٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٣٥ .

أميناً على التنفيذ في مكانه »[٦٠] .

وحتى تكتمل حلقات الإستنهاض الشامل في داخل إيران ، أولى الإمام جيش الشاه قبل الإنتصار الكبير اهتماماً خاصاً ، وخصوصاً في المراحل التي تتابعت فيها انتفاضات المسلمين الإيرانيين بقيادة علماء الدين ، وتحولها إلى انتفاضات دامية ، واسناد مهمة قمعها بالقوة إلى الجيش البهلوي الذي أُمِرَ باستعمال كل وسائل الفتك والإرهاب ، لخنق الثورة العتيدة في مهدها واخماد أجيجها الغاضب بقوة السلاح .

ولم يترك الإمام مناسبة للجيش الإيراني فيها شأن ، دون أن يوجه إليه نداءاته التي سعى فيها إلى اظهار حرصه على هذا الجيش من أن يُرتهن لإرادة الأجنبي أو أن يكون وسيلة لقتل المظلومين والأبرياء من أبناء الشعب . وبالرغم من المجازر الوحشية التي ارتكبها هذا الجيش فقد ظل الإمام حريصاً على دعوته إلى عدم الولوغ في الدماء وإلى المبادرة إلى استنقاذ إيران من جور الدكتاتورية وتخليص الإسلام من جلاديه . يقول الإمام في هذا المجال : « نحن نعلم بأن البعض من قادة الجيش وضباطه وجنوده الشرفاء يشاركوننا مشاعرنا . . . [بمناسبة ارتكاب الجيش وجلاوزة الشاه مجزرة المدرسة الفيضية بقم][٦١] . . . ، ويستنكرون هذه الجرائم والأعمال الهمجية . كما واني على علم بأساليب الضغط التي تمارس ضدهم . . واني أمد يد الإخاء إليهم ، وأدعوهم إلى الإقدام والمبادرة لانقاذ إيران والإسلام »[٦٢] . ولم تكن المبادرة للانقاذ المقصودة ، إلّا دوراً أساسياً في الإنتقاض على سلطة الطاغوت : « يا جنود الإسلام الغيارى الذين أُخرجتم من معاهدكم إلى معسكرات التجنيد الإجباري ، أكملوا تدريباتكم العسكرية بكل شجاعة واقدام لعلكم تقومون بنفس الدور الذي قام به موسى ـ عليه السلام ـ الذي ما أن ترعرع في بلاط

---

(٦٠) الكلام بين . . [. . .] . . لنا ، وهو من سياق الشاهد . مع الاشارة إلى ان المجزرة المذكورة قد حدثت سنة/١٣٨٢هـ .

(٦١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٦٤ .

(٦٢) (م . ن) ـ ص/١٦٠ ـ ١٦١ .

فرعون ، حتى قام بتوجيه ضربته إلى حكمه الجائر ، وعسى أن تأتيكم الظروف الملائمة للقيام بالثورة على هذه السلطة الجائرة »[٦٣] .

وعندما جرى التصديق على « قانون الحصانة القضائية للرعايا الأميركيين في إيران »[٦٤] سنة ١٩٦٤ ، من قبل مجلس نواب الشاه شن الإمام حملة شعواء ضد هذا القانون ، وقد رأى فيه « بيعاً لكرامة الشعب في سوق النخاسة الأميركي »[٦٥] ، وخزياً للجيش وامتهاناً لكرامته ودوره المفترض في الدفاع عن شرف الوطن والشعب ، فراح يحض الجيش على اتخاذ موقف قاطع مما لحق به من اهانة ، مطالباً إياه بالعمل على تحرير البلاد من الإستعمار الأجنبي : « على جيش إيران أن لا يسمح بوقوع هذه الإهانات والمخازي على أرض بلاده ، وعلى قائد الجيش أن يطالب بتمزيق هذه الوثيقة الإستعمارية ، حتى لو اقتضى الأمر اسقاط الحكومة وطرد النواب الذين صوتوا بالموافقة على هذا المرسوم المهين »[٦٦] .

كذلك فعل الإمام بعد ما تم اغتيال نجله الشهيد مصطفى داعياً الجيش إلى التحرك للتحرر ولتحرير البلاد والعباد مستنهضاً إياه للانخراط في جبهة جهاد الأمة في سبيل الحرية : « على الجيش وقادته أن يخلصوا أنفسهم من عار الإرتهان للأجنبي ، وأن يحرروا بلادهم من الهلكة والإنحدار »[٦٧] .

في حدود هذا الحيِّز الدَّعَوِي يستكمل الإمام الخميني ـ رضوان الله عليه ـ استنهاضه وتثويره الجواني لخطوط جبهة المسلمين في داخل إيران وخارجها ، بدءاً من اعادة تربية وتوعية وصناعة الإنسان المسلم ، وصولاً إلى الإمساك

---

(٦٣) بموجب هذا القانون أصبح الخبراء العسكريون والمدنيون الأميركيون أحراراً في إيران ، لا تطالهم يد القضاء والقوانين .
ـ أنظر : (م . ن) ـ ص/١١٥ ـ ١١٦ .

(٦٤) (م . ن) ـ ص/١١٥ .

(٦٥) (م . ن) ـ ص/١١٨ .

(٦٦) (م . ن) ـ ص/٢٢٤ .

(٦٧) المطهري ، مرتضى ـ « مقالات حول الثورة الإسلامية . . . » ـ (م . س) ـ ص/٤٥ .

التبليغي بالبنى البشرية للأمة على المستويَيْن الأفقي والعامودي ، ومروراً بالشرائح المفصلية فيها ، بحيث تنضبطِ كلها في سياق واحد ، ومسار تكافلي موحد ، بثقافة واحدة ومشروع واحد مُؤَدٍّ إلى غاية واحدة يتكامل المسلمون في حركة تكليفهم الشرعي للوصول إليها ، ويتوحدون .

ولا تقوم ثورة إلاّ باستنهاض روح المجتمع باعتبارها مُكَوِّنةً من أصيل ثقافته ومبادئها : « فَمَنْ استطاع أن يضع يده على روح ثورةٍ ما ، ويحييها ، فإنه يتمكن من تحريك جسم المجتمع بأكمله في آن واحد »(٦٨) . وحتى يتم للإمام فعل البعث والإحياء المرْجُوِّ ، كان لا بُدَّ له من تحريك مَنْ هم بمثابة مصدر الحياة لتلك الروح المباركة ، وإنعاشه وتزخيمه بالقوى الضرورية واصلاح مواطن العطب فيه حيث وُجِدَت ، وما نعني بهذا المصدر/ القلب النابض سوى علماء الإسلام وفقهائه ومؤسساته الدينية التي ما استمرت للإسلام حُشاشة إلاّ بها ، بالرغم ممَّا أصابها من تداعٍ وتخريب واغتراب .

جـ ـ جبهة الإستنهاض الثانية : علماء الدين والمجامع العلمية :

على هذه الجبهة الثانية ـ كما سبق ووصفناها ـ كان اعتماد الإمام اعتماداً أساسياً . فعلماء الدين هم تراجمة الإسلام ، وضابطو حركة تكامل الأمة ، ومصدر نبض الحياة فيها ، وهم ـ إلى ذلك ـ مربوها ومرشدوها . فإذا ضلوا أضلوها ، وإذا صلحوا أصلحوها ، وإذا تهافتوا ، تهافتت معهم أركانها وتداعت . وما أصيبت به الأمة ، عبر التاريخ ، من ويلات وانتكاسات وجمود ليس سوى دليل « آلي » على أهمية فعل ارتكاس العلماء وارتباط مصير الأمة بهم . وفوق هذا وذاك فمنهم قيادة الأمة ، وعليهم تبعات كونهم « خلفاء للرسل » و« حكاماً على الناس » و« ورثة للأنبياء »(٦٩) . « إن تقاعس العلماء وسكوتهم أشد ضرراً من تقاعس مَنْ سواهم . فالمخالفة والمعصية الصادرتان

---

(٦٨) أنظر : الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٩٤ وما بعدها ، وص/١٠٢ .

(٦٩) (م . ن) ـ ص/١٠٧ .

عن شخص عادي لا يتجاوز ضررها في الغالب نفسه ، بينما يكون فيما يصدر عن العالِم من مخالفة ومعصية ، أو سكوت على الظلم ، ضررٌ عظيم على الإسلام كله . أما إذا عمل بواجبه على الوجه الأكمل ، وتكلم حيث ينبغي التكلم ، فإن نفع ذلك يعود على الإسلام كله أيضاً »[٧٠] .

نهض الإمام الخميني في وسط هؤلاء العلماء ، وترعرع وصلب عوده الفكري والسياسي بين ظهرانيهم في « المراكز الدينية العلمية التي تمارس فيها عمليات التدريس والتعليم الديني والزعامة الدينية . فهي موطن الفقهاء العدول ومهبط الطلبة والأساتذة من شتى البلاد ، وهي معدن أمناء الله وخلفاء الرسل . . . »[٧١] . نهض الإمام في هذا المحيط ، فإذا به يجده في وضع مماثل لوضع المجتمع الإسلامي خارجه ، ونظر إلى المجتمع فإذا هو يعاني من ذات المشاكل والعلل التي يعاني منها رجال الدين ومؤسساتهم الدينية . انه التماثل الطبيعي بين وضع الأعضاء ووضع الرأس والقلب في الأمة : سكونية وصمت وخوف ، وافراغ للمقدسات من مضمونها ، وغزو أنماط الفكر المضاد ونموذجه الحضاري ، وطلاق بين أكثر العلماء والفقهاء وبين الحياة والحداثة ، وتعطيل لفاعلية العبادات ، وخمول وتبلد في الأذهان إلى درجة البلاهة ، والميدان الإسلامي مُسَبَّب لسلاطين الجور وفقهائهم ، وقعود عن أهم التكليفات الإلهية . . .

رصد الإمام مواقع الخلل والتعطيل تلك ، ووعى طبيعتها وعللها ونتائجها الوبيلة على المسلمين والإسلام ، وعلى العلماء أنفسهم . . فكان الأدرى في معرفة أسرار العرين المتردي الذي عايشه عن كثب ، وما فارقه على مدى عمره الطويل . فقام منه يتصدى لمفاعيل القحط والعقم والبدع ، ويَسُل من جديد سيوف الحق ويشهرها في وجوه الطغاة ، ويستنقذ قيم الإسلام الأصيلة من بين ركام العقول المتجمدة ، معيداً تحريك عافية الهدى في النفوس والهمم ، ومسترداً الثقة المفقودة بالمشروع الحضاري للإسلام ، ومعيداً المراكز الدينية

---

(٧٠) (م . ن) - ص/١٤١ .
(٧١) (م . ن) - ص/١٣٢ .

إلى موقعها الحقيقي في قيادة المجتمع والحياة وتحمل المسؤوليات التي قامت من أجل الاضطلاع بها .

يقول الإمام في هذا السياق : إن « قيادة الأمة إلى الصلاح ، ومعرفة الإسلام على وجهه الصحيح ، تستلزم صلاح أهل العلم وحملة الشريعة ، بمعنى : ضرورة تكامل نشاطهم التعليمي ، والإعتماد على النفس والثقة بها ، واجتناب الكسل والوهن والضعف والنكول ، ومحاولة محو آثار ما ينشر في الناس من أباطيل ، وتهذيب الأفكار المتحجرة في صفوف البعض منا ، وطرد فقهاء القصور الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم من صفوفنا ، وإبعادهم عن زيِّنا ، وتعريتهم وفضح أعمالهم »[٧٢] .

إن تنكر علماء الدين ومؤسساتهم الدينية لهذه المسؤوليات هو احداث للفراغ الكبير الذي لا يدانيه فراغ على مستوى الأمة ، فتغدو سائرة بلا رأس وبلا قلب ، مدفوعة من الخلف بدوافع وقوى مضادة ، ومشدودة من الأمام بحوافز هجينة لا تمت إلى ثقافتها وفكرها بصلة ، بينما تنهال على جسدها سياط العصاة والمشوهين وحكام الجور والأدعياء ، لضبطها في مسار غربتها واغترابها عن عقيدتها ومثلها العليا وذاتها .

هذا الغياب ، أو التغييب ، كان مدعاة لإحداث صدمة للواقع المتهافت من خلال اعادة ملء الفراغ واستنقاذ المشروع الريادي الإسلامي مما علق فيه من أدران ، ومما أسقط فيه من أعراف وتقاليد بالية ، يقول الإمام في هذا الواقع الزري : « أنظروا الهيئات الدينية ، فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة . فهنالك البطالون من عديمي الهمم ، وهنالك الكسالى الذين يكتفون بالدعاء والثناء والتحدث في بعض المسائل الشرعية ، وكأنهم لم يخلقوا لغير ذلك . ومما يمكن رؤيته في هذا الجو من تلك الآثار هو النغم التالي : « الكلام يتنافى ومقام العالم . . المجتهد لا يليق به أن يتكلم ويحسن به أن يكثر الصمت ، ويكتفي بقول : لا إلـه إلاّ الله ، أو يكتفي باليسير جداً من

---

(٧٢) (م . ن) ـ ص/١٣٨ ـ ١٣٩ .

الكلام » . . . هذا خطأ ، وفيه مخالفة للسنّة الشريفة . . . »[٧٣] ، بقدر ما فيه من خروج على منهج القرآن[٧٤] .

ولشد ما كان يؤلم الإمام في أوساط علماء الدين والحوزات العلمية ، استسلام بعض المجتهدين والعلماء لبدعة فصل الدين عن السياسة . فما كان منه إلاّ أن شنَّ عليهم حملة رفض واستنكار لا هوادة فيها ، وفي منتهى الصرامة والقسوة اللتين اشتهر بهما . فبمقدار ليونته ومرونته وتسامحه في التعاطي بشؤون الناس ، كان هجومياً جادّاً في تعامله مع علماء وفقهاء الهيئات والمجامع العلمية من حملة الأفكار البائدة أو المبتدعة : « الأفكار البلهاء التي يبثها الأعداء مما ذكرنا بعضها [كمقولة فصل الدين عن السياسة ، ومقولة تنافي الكلام ومقام العالم . .] يوجد فينا من يؤمن بها . وفي هذا ادامة للإستعمار والنفوذ الأجنبي . . هؤلاء جماعة من البلهاء يُدْعَوْنَ بالمقدسين ، وهم ليسوا بمقدسين ، بل متقدسين يتكلفون التقدس ، علينا أن نصلحهم ، وأن نحدد موقفنا منهم ، لأن هؤلاء يمنعوننا من الاصلاح والتقدم والنهوض . . . وعلينا أن ننصح أمثال هؤلاء أن يرجعوا عن غيهم ، وتنبههم إلى الخطر المحدق بالإسلام والمسلمين وأن نفتح أبصارهم . . على الخطر الصهيوني والأنكلو ـ أميركي الذي يمد الكيان الإسرائيلي بمقومات الحياة . . فإن نفعت الذكرى فذلك ما نريد ، وإلاّ كان لنا معهم حساب آخر ، وموقف آخر »[٧٥] . إلاّ أن فعل الصدمة الذي مارسه الإمام لم يكن مجرد احتجاج في مجال الخطأ أو الخطيئة التي تهاوى فيها الآخرون فحسب ، بل هو تقويم لرؤية حضارية منحرفة ، وتصويب لخط الرسالة واعادة إحكام تثبيت العالم الديني في موقعه الحقيقي ، واعادة رد الإعتبار لعلمه ، ولدوره الذي تخلى عنه أو أهمله . وبذلك يتم تصحيح العلم التائه عن هدفه بالعلم المؤدي إلى الهدف ، وتقويم المنهج المنحرف أو الموصل إلى الإنحراف عن طريق السعي إلى إعادة مطابقته مع

---

(٧٣) (م . ن) ـ ص/١٣٩ .
(٧٤) الكلام بين [. . .] من سياق متن الشاهد .
(٧٥) (م . ن) ـ ص/١٣٩ ـ ١٤٠ .

نموذجه القرآني والنبوي وخط الأئمة ، وإعادة توظيفه في خدمة المشروع العالمي للإسلام ، وحماية الأمة من الأخطار التي تهددها ، من الشرق هبَّت أم من الغرب ، أم من عقر الدار ، كما يتم بذلك أيضاً ضبط أي انحراف فقهي ، أو جمود اجتهادي ، بالفقه الأصيل والتجديد والإبداع .

هكذا يتبوأ علم العالم درجة أمانة الله في عباده وبلاده : « لا يطمع في شيء من فضلات الحياة ، ولا يطيع للظالمين أمراً ، ولا يزكي لهم عملاً »[٧٦] . ولا بد أن العلماء يعرفون « ما جناه على الإسلام فقهاء السلاطين . . ، وما لتعامل الفقيه مع الجائرين من تأثير على الناس . فانضواء الفقيه تحت لوائهم أشدُّ ضرراً على الإسلام من إنضواء أي فرد عادي . ومن هنا فقد شدد أئمتنا المعصومون على أهمية هذا الأمر ، ونَهَوا أتباعهم عن أي نوع من التعاون والتعامل مع الحكام الجائرين ، حَذَراً من أن ينتهي الأمر بالإسلام إلى هذه النهاية التي نراها »[٧٧] . وإذا كان من أوليات واجبات المسلم النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، فإن من مستلزمات القيادة العلمائية أن تقود ، بمواقفها « المتصلبة الشديدة »[٧٨] ، عملية النهي عن المنكر التي تستتبع أن يقتدي الناس بهم ضد السلطة المنحرفة[٧٩] . و« لماذا الخوف ؟ ـ يتساءل الإمام ـ فليكن حبساً ، أو نفياً ، أو قتلاً ، فإن أولياء الله يشرون أنفسهم إبتغاء مرضاة الله »[٨٠] .

وبهذا المعنى لا يعود جهاد العالم الديني فردياً أو جزئياً ، بل جهاداً مقدساً يسبق فيه سائر الناس بحكم موقعه ووظيفته اللذين اختصه الله بهما[٨١] ، وهو دليل الأمة وترجمان شريعتها . ولهذا نفهم ثورة الإمام على سكوت الساكتين من الفقهاء والعلماء فيخاطبهم بقوله : « لماذا السكوت ؟ هؤلاء

---

(٧٦) (م . ن) ـ ص/١٤١ .
(٧٧) (م . ن) ـ ص/١٤١ ـ ١٤٢ .
(٧٨) (م . ن) ـ ص/١٠٨ .
(٧٩) (م . ن) .
(٨٠) (م . ن) ـ ص/١١١ .
(٨١) (م . ن) ـ ص/١١٠ .

يذلونكم ، فاصرخوا في وجوههم ـ على الأقل ـ واعترضوا ، وانكروا ، وكذّبوهم . . يجب أن يكون لكم صوت مسموع حتى لا تتخذ الأجيال القادمة من سكوتكم ما يبرر أعمال الظلمة »[٨٢] .

أما إذا كان هؤلاء السادة يتذرعون بمبدأ التقية لتبرير صمتهم ، فإن الإمام يحتج عليهم بأن التقية قد شُرِّعَتْ « للحفاظ على النفس أو الغير من الضرر في مجال فروع الأحكام . أما إذا كان الإسلام كله في خطر ، فليس في ذلك متسعٌ للتقية والسكوت . . وإذا كانت ظروف التقية تلزم أحداً منا بالدخول في ركب السلاطين ، فيجب الإمتناع عن ذلك ، حتى ولو أدى إلى قتله ، إلاّ أن يكون في دخوله الشكلي نصر حقيقي للإسلام والمسلمين »[٨٣] ، وهذا الواقع في ظروف هؤلاء غير قائم : « فالتقية في مثل هذه الحالة حرام ، وان إظهار الحق واجب شرعي »[٨٤] وإذا كان الإمام يطالب هذا الصنف من العلماء « بالحد الأدنى » والقبول منهم بـ « الأقل » : أي بالصرخة والإستنكار مستنهضاً فيهم ما هو أول أبجدية تكليفهم الشرعي ، فإن المطلوب إلى غيرهم من الفقهاء النموذجيين أن يضطلعوا بمسؤولياتهم الطبيعية والمهام التي أناطتها الشريعة بهم وقوامُها : « أن يبينوا للناس العقائد الحقة ، والأنظمة الإسلامية ، وطرق الجهاد والنضال ، ويقودوا الناس ، لينقاد لهم الناس تلقائياً ، إذا لمسوا فيهم الأهلية والإخلاص ونكران الذات »[٨٥] ، وبمعنى آخر فإن « على الفقهاء بيان المسائل والأحكام والأنظمة الإسلامية وتقريبها إلى الناس ، من أجل إيجاد تربة صالحة تعيش على سطحها النظم والقوانين الإسلامية »[٨٦] .

وعندما يتصدى العلماء الفقهاء ، الذين يسميهم الإمام بـ « حصون الإسلام »[٨٧] ، للشؤون العامة للأمة متحلين بصفات وشروط الأعلمية

---

(٨٢) (م . ن) ـ ص/١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٨٣) (م . ن) ـ ص/١٤٢ .
(٨٤) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ ص/٤١ .
(٨٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٨ .
(٨٦) (م . ن) ـ ص/١٢٠ .
(٨٧) (م . ن) ـ ص/١٢٨ .

والعدالة ، فلن يضل المسلمون الطريق إليهم والإعتراف بقيادتهم . وفاق هذا التوجه المنهجي جاهد الإمام على جبهة الفقهاء ، يستدعي المغمور منهم ، ويستحث المهمل ويستصرخ الساكت ، ويستثير المستكين ، ويستوثب العاجز ، باذلاً أقصى الجهد في سبيل القضاء على أسباب الظاهرة التي أفرزت في الحوزات والمجامع العلمية الدينية هذه الأنماط من العلماء .

وإذا كان الإمام ، حيال هذه الظاهرة السلبية ، قد اتخذ موقفاً صارماً ـ كما ـ سبق ونوهنا به ـ فإننا نكاد نتلمس في نصوصه ، قبل انتصار الثورة الإسلامية ، قدراً من التشاؤم وتوقعاً لصعوبات كبرى في إصلاحها وتقويمها . لذلك نراه يميل بكل ثقله للعناية والإهتمام بطلاب المجامع العلمية الشباب ، فمنهم فقهاء المستقبل وقادة الأمة الواعدون ، وهم جيل الدعاة الجدد المتتلمذون على الإمام وفكره وفلسفته ومنهجه وجهاده ، والمكلفون بحمل المشروع الإسلامي العالمي إلى الدنيا ، وهم جهاز الإستنهاض وبثيثه وعناصر إحيائه : « أنتم شباب المراكز الدينية ـ يقول الإمام (قدس سره) ـ ، كونوا أحياءً ، واعملوا على إحياء أمر ربكم ، والمحافظة على أنظمته . . يا جيل الشباب . . . اجمعوا أمركم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وتكاملوا ، واتركوا توافه الأمور ، وأعرضوا عن القشور ، وانهضوا بمسؤولياتكم . . أنقذوا الإسلام وأنجدوه ، فالإسلام يستصرخكم ، وخلصوا المسلمين من الأخطار المحدقة بهم . . . عليكم أن تبثوا علمكم »[88] . وها هو يحذرهم من السقوط في المهاوي التي سقط فيها العلماء المهملون المذعنون ، من الصامتين أو خدم السلاطين بعدما نجحوا في تكريس نموذج علمائي منحرف ، « وها نحن الآن نعجز عن اقناع البعض منا بالخطأ الذي وقعوا فيه من الإعتزال وعدم الإهتمام بشؤون المسلمين »[89] ، فيقول الإمام في تحذيره : « إن علماء الإسلام الحقيقيين كانوا منزهين عن مثل هذا ولا يزالون . وهؤلاء الذين ترونهم وتسمعونهم أحياناً قد ألصقوا أنفسهم بالعلماء إلصاقاً ، وليسوا من العلم

---

(٨٨) (م . ن) ـ ص/١٢٢ .
(٨٩) (م . ن) ـ ص/١٣٥ .

والعلماء في شيء . انما هم جماعة من البطالين ، والناس تعرفهم »[٩٠] . وفي المقابل يطرح الإمام برنامج مهمات للعلماء الشباب داخل الحوزات : « ادرسوا وتفقهوا ، وقوموا الهيئات والمجامع العلمية ولا تتركوها تتداعى وتنهار »[٩١] ، اضافة إلى مهماتهم العامة خارجها : « ولكنْ في خلال دراستكم ، بلِّغوا وأرشدوا ووجهوا وأيقظوا النفوس من سباتها »[٩٢] ، وبهذه وتلك ، فإن عليهم حمل رسالة الاستنهاض في كل أرجاء الدنيا واعداد أنفسهم علماً وتقوى وتحصناً بقيم الإسلام وأخلاق الله والأنبياء : « فأعدوا أنفسكم لحفظ أمانة الله التي استودعكم إياها . . كونوا أمناء على دينكم . . جندوا أنفسكم لإمام زمانكم حتى تستطيعوا أن تبسطوا العدل على وجه البسيطة . أصلحوا أنفسكم وتخلقوا بأخلاق الله وأخلاق الأنبياء . . ليقتدي الناس بكم في عفة نفوسكم ورفعتها ، وليكون لهم فيكم أسوة حسنة »[٩٣] .

د ـ جبهة الاستنهاض الثالثة : المظلومون والمستضعفون :

عَبْرَ هذه القراءة لاستنهاض الإمام أهلَ العلم في المجامع والهيئات الدينية ، وفي نسيج الخطاب التبليغي المجسِّد للخطاب الحضاري ، يرفع الإمام وتيرة بلاغه وابلاغه إلى عمق جبهة الاستنهاض الثالثة التي تتألف من المظلومين والمستضعفين في العالم من غير المسلمين . أولئك المعنيُّون بقضايا الحرية والعدالة المزروعون في شتى بقاع الأرض ، فهم أيضاً جزء لا يتجزأ من قضية مشروع الإمام بالإسلام ، وقد أعيتهم السبل إلى التخلص من الظلم والعسف والإستغلال ، بعدما تسلطت عليهم قوى الكفر والإستكبار ، واستلبت إرادتهم ، وجعلتهم في غفلة عن أمرهم ، من غير ما تعمد منهم أو تقصير ذاتي ، فهم مسلوبون مُسْتَلَبون[٩٤] . أولئك الذين قال الله سبحانه فيهم : ﴿إلا

---

(٩٠) (م . ن) ـ ص/١٤٤ .

(٩١) (م . ن) ـ ص/١٤٥ .

(٩٢) (م . ن) .

(٩٣) (م . ن) ـ ص/١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٩٤) أنظر : ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ المجلد/٥ ـ ص/٥٠ ـ ٥٢ .

المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفوَ عنهم وكان الله عَفُوّاً غفوراً﴾[٩٥] .

من وعد الله وإرادته في منح الأرض للمستضعفين تصديقاً لقوله عزَّ وعلا : **﴿ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**[٩٦] ، تتكامل قضيتا المسلمين والمستضعفين « لطرد المستكبرين من مسرح التاريخ »[٩٧] ، وتلك سنّة إلٰهية أثبتها الخطاب القرآني : **﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يُسْتَضْعَفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾**[٩٨] . وما هذا التكامل سوى مرحلة على طريق تَوَحُّد القضيتين في القضية الواحدة على أرض المشروع الإلهي للعالم . وليس بلا دلالة توحيد الإمام الخميني للقضيتين في بعض نداءاته : « يا مسلمي العالم ، ويا مستضعفي الأرض . . هيَّا إلى النظام الذي جاء من قبل الله تعالى لنموكم وتكاملكم ، ولسعادتكم في الدنيا والآخرة ، ولإزالة الظلم وحقن الدماء ونصرة المظلومين في العالم ، ولأجل التربية والتعليم الإنسانيين ، ولأجل حرية واستقلال أقطاركم »[٩٩] . وبغائية هذا التوحد يعتبر المسلمون أنفسهم ، بأمر وتكليف ربَّانيَّين ، مكلَّفين ومسؤولين عن « إنقاذ المحرومين والمظلومين . . . ، ومناوأة الظالمين ، كما ورد في وصية أمير المؤمنين (ع) لولديه : « كونا للظالم خصماً ، وللمظلوم عوناً » . . . »[١٠٠] ، وذلك عملاً بقوله تعالى : **﴿ولا تَرْكَنوا إلى الذين ظلموا فَتَمَسَّكُمُ النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا**

---

(٩٥) سورة النساء ، الآيتان : ٩٨ ـ ٩٩ .

(٩٦) سورة القصص ، الآية : ٥ .

(٩٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/١ ـ ص/١٨٧ .

(٩٨) سورة الأعراف ، الآية : ١٣٧ .

(٩٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/٤ ـ ص/١١٤ .

(١٠٠) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/٣٦ .

تَنْصَرون﴾[101](*) واستناداً إلى شمولية الرسالة ، لأن الإسلام « ليس لطائفة واحدة ، بل وليس للمسلمين فقط . . الإسلام جاء للبشر كافة »[102] ، وفاق قول الإمام الخميني .

هذا التكامل التوحيدي بين المسلمين والمستضعفين المظلومين ، ليس مجرد تحالف سياسي أو مصلحي ، بل هو تلاحم عضوي دينامي في بنيان قضية الإنسانية الواحدة : قضية الحرية والإستقلال ، بما هي في صلب تحقيق العدالة في الأرض وقيام حكم الله . لذلك كانت دعوة الإمام الخميني إلى أن يكون المسلمون وطلاب التحرر في العالم يداً واحدة : « كونوا في ذلك . . [التخطيط للحكومة الإسلامية والتقدم فيها][103] . . يداً واحدة مع كل من يطالب بالحرية والإستقلال »[104] ، ناهيك بأن هؤلاء هم مسلمون بالقوة ، وإنْ لم يكونوا كذلك الآن بالفعل . فأنَّى للعدالة الواقعية أن تقوم بين الناس من غير قانون عادل ؟ ، وأنَّى للحرية أن تنمو وتَتَشَكَّل فتتجسد ، بمعزل عن ذلك القانون الإلٰهي الذي حرر الإنسان من قيود العبودية لغير الله[105] ؟ . فمشروع الإسلام واضح ، وقضيته العالمية مُشهرة على الملأ ، ولم يكن يرقى للإمام أي شك في أنها : « إذا انعكست في العالم ، فإن الذين يخالفوننا هم الظالمون ، وهم الأقلية ، والذين يوافقوننا هم الأكثرية وهم المظلومون » ـ على حد قوله[106] .

---

(101) سورة هود ، الآية : 113 .

(*) أنظر أيضاً تفسير هذه الآية في :

ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/11 ـ ص/50 وما بعدها .

(102) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/1 ـ ص/219 .

(103) الكلام بين . . [. . .] . . لنا ، وهو من سياق الشاهد .

(104) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/134 .

(105) راجع :

ـ المطهري ، مرتضى ـ « الهدف السامي للحياة الإنسانية » ـ (م . س) ـ ص/15 .

و : ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي » ـ (م . س) ـ ص/41 .

(106) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ الجزء/1 ـ ص/185 .

ولا يحيد الإمام في منهجه الحضاري هذا قيد أنملة اقتداء بخط الرسالات الرحمانية والأنبياء والأئمة ، وَلَشَدَّ ما تمثل هذا الخط من خلال امامة علي بن أبي طالب (ع) وانتصاره الدائم للمظلومين ، « فعلينا الاقتداء به ، فلا نسكت على الظالمين واستبدادهم وبغيهم . . فالسكوت عن الظلم ، وعدم رد كيد الظالمين ، في عصرنا الحالي ، يعتبر تعاوناً معهم » ـ وفاق قول الإمام الخميني[107] .

إن الوقوف في وجه الظلم وأسبابه ، والتصدي لعوامل الإستضعاف والقهر هما تجليان لأصلين بنيويين في العقيدة الإسلامية وهما : التوحيد والعدل . وإذا كان التوحيد هو « جوهر العقيدة »[108] الإسلامية يتحرر به الإنسان من عبودية غير الله ، فإن العدل « هو الشرط الأساسي لنمو كل القيم الخيرة الأخرى . وبدون العدل والقسط يفقد المجتمع المناخ الضروري لتحرك تلك القيم وبروز الإمكانات الخيرة »[109] .

بهذين الأصلين الشاملين تشبث الإمام الخميني في خط الاستنهاض الإسلامي بحيث تستقيم الأمور كلها لله ، وباتجاهه تندفع ، وإلى قيام حكمه وعدالته وأخلاقه ترص الصفوف ، وتعبىء الجهود والجهاد والجهات ، من الإسلام إلى الدنيا قاطبة ، ومن موقع متقدم إلى آخر أكثر تقدماً ، ومن جوَّانية الفرد ، إلى جوَّانية الأمة وصولاً إلى العالم بأجمعه . فالمسلم حينما يقاوم الظلم في محيطه ، أو في بلاده ، أو في بني قومه ، فإنه « لا يعزل هذا الظلم عن أي ظلم آخر يمارسه الجبارون في الأرض »[110] . وهو حينما يتطلع إلى العدالة ، فلا يراها كاملة إلاّ عندما تسود الدنيا . وإذا كان يؤمن بعدالة واحدة هي عدالة القانون الإلهي وأحكامه ، فإنه ـ بالمقابل ـ مأثوم وعاصٍ إذا أغمض

---

(١٠٧) أنظر :
المهري ، محمد جواد ـ « جوانب من أفكار الإمام الخميني » ـ ص/١١١ .
(١٠٨) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ (م . س) ـ ص/٢٦ .
(١٠٩) (م . ن) ـ ص/١٤٢ .
(١١٠) (م . ن) ـ ص/١٨٠ .

عينيه عن انتقاص يصيب الحقوق المشروعة لأي إنسان على هذه البسيطة . ولذلك فهو مكلف شرعاً بإقامة حكومة الله في الكون والدأب المستمر على تنفيذ شرائعها التي لا شريعة غيرها ـ عنده ـ قادرة على انفاذ عدل الله وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة . ثم أليس الساكت على الظلم شيطان أخرس ؟ . . . .

بهذا المنهج الحضاري المستند إلى العقيدة الإسلامية ، يكون « كل إطار أو نظام لا يستمد قواعده من الإسلام فهو غير مشروع »(١١١) بحيث تشكل هذه اللامشروعية ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ موقفاً ورفضاً ضمنياً لكل عمليات التحريك الحضاري التي تمارسها الأنظمة والمذاهب الإجتماعية الأخرى »(١١٢) .

وبهذه الإشعاعات الحضارية استنار الإمام الخميني ، وأنار ظلام المسلمين والمستضعفين في الأرض ثائراً ومربياً ، ومستنهضاً فيهم قابليات الحق والعدل والخير والحرية المنضبطة في مدار المشروع الحضاري للإسلام ، ونظرته للحياة والإنسان وتكاملهما في مسيرة اقامة حكم الله ، وكدحاً إليه سبحانه وتعالى عما يصفون .

(١١١) (م . ن) ـ ص/١٩٤ .
(١١٢) (م . ن) .

الفصل السادس

المستنهضـــــون

المُسْتَنْهِضون :

ليس بين المسلمين أساساً ، مَنْ هو خارج قضية الدعـوة والإستنهاض . فـالمسلم في عباداتـه وسلوكه وممـارساتـه ، ووعيه مهمـا تعـددت مسـتـويـاتـه واختلفت ، نموذج للتعريف والتعليم والتربية والاقتداء . إنه بذاته نموذج حركة وتحريك ، وقد صنع منه الإسلام إنساناً مكلفاً بنظام من الأفكار والقيم والأخلاق والضوابط بحيث يغدو بها في حياته ومعيشه مُقَدِّماً ومُتَقَدِّماً ، فإذا هو حالة دعوة ذاتاً وموضوعاً تدب على الأرض . وبهذا المعنى يكون ـ موضوعياً ـ كل مسلم في وضع الداعيـة المستنهض . وهو بمعنى أدق ـ مَـدْعُوٌّ وداعيـة ، ومستَنْهَض ومستنهض ، على أسـاس أن مسيرتـه في هذا العـالم مسيرة ارتقـائية وتكـاملية دينامية ، مستقيمة إلى اللانهائي المطلق ، تكـدَح إليه مـا دامت متمتعة بنعمـة الحياة واستمرار تكليف الإستخلاف الإلهي للإنسان ، وهو تكليف بابعاد متكثرة وثابتة ، محكومة بسنن هذا الإستخلاف وقوانينه .

إن هذا الهدف اللانهائي هو الوحيـد « الذي يضمن للتحـرك الحضاري للإنسان أن يواصل سيره واشعاعه واتقاد جذوته باستمرار . . وهو الذي يقتـرب الإنسـان منه بـاستمرار ، ويكتشف فيـه كلمـا اقتـرب منـه ، آفـاقـاً جـديـدة ،

وامتدادات غير منظورة تزيد الجذوة اتقاداً والحركة نشاطاً وابداعاً »[1] . فبتسلق الصراط المستقيم اللولبي المؤدي إليه ، وبالإقتراب المستديم منه تنفتح أمام الجماعة البشرية آفاق أرحب تكشف أمامها المزيد من أسرار الطريق وعتماتها ، « لأن الإنسان المحدود لا يمكن أن يصل إلى الله المطلق ، ولكنه كلما توغل في الطريق إليه ، اهتدى إلى جديد »[2] ، وقد قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[3] . فكل تحقق لهدف أرضي مدعاة لمجاهدة جديدة باتجاه تحقيق هدف أسمى وأبعد ، اقتراباً وسعياً إلى التكامل في الهدف اللانهائي ، وكل معرفة ناجزة مآلها إلى معرفة جديدة ، وكل خطوة تقدمية هي تقصير لمسافة الإقتراب ، وكل عبادة هي في ذاتها نماء وارتقاء وثقافة جديدة في العبودية لله سبحانه ، ومع كل تراكم كشفُ جديد « وتجوهر » للنفس وتألق في النعم التي لا تُحصى ، وكل فعل إنساني يصبح استجابة واستدعاءً لفعل أصلح وأشمل ، وتكليفاً بالأكمل .

في هذا المنهج الحضاري لا ينقطع المسلم عن كونه مَدْعُوّاً وداعية ، ومستنهَضاً ومستنهِضاً ، ومهتدياً وهادياً ، وكذلك الأمة الإسلامية التي لا تتخذ حقيقة « إسلاميتها » مضمونها الأصلي إلاّ إذا حمل عديدُها من المسلمين مشروع الإسلام الحضاري للدنيا ، متحملاً مسؤولياته الربانية على الأرض[4] وقيادتها وفاق ما شرَّعته المشيئة الإلٰهية من قوانين ونظم لخير البشرية جمعاء . وعلى هذا لأساس فهي أمة مُزَوَّدة ومختزنة بنظام علوي شامل وعادل وواحد يجعلها بالضرورة ، ذاتياً وموضوعياً ، أمة دعوة واستنهاض للبشر كافة ، وأمة التوحيد فيهم ، وأمة توحيدهم .

إن وحدة المشروع الإلٰهي حول المطلق السماوي ، مقتضية ،

---

(١) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ « م . س » ـ ص/١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٢) (م . ن) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩ .

(٤) راجع :

ـ الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ (م . س) ـ ص/١٩٣ .

بالضرورة ، وحدة الأمة/ الدعوة التي ترفعه ، ووحدة الدعـاة المكلفين بحمله إلى حدة العالم/ الوجود . ومن خلال هذه الـرؤية التـوحيديـة الشموليـة تنبثق الدعوة متخذة مضموناً احيائياً يقوم على ما يحيـي الإنسان في الدنيا وفي الآخرة استناداً إلى قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**[٥] . « فالحياة أَنْعَمُ نعمة يعتقدها المـوجود الحيُّ لنفسـه . . ولا يرى وراءه إلاّ العدم والبطلان »[٦] . أما إذا انحرف الإنسان عن سـوي الفطرة الإنسانية والصراط الذي تهديه إليه ، « فَقَدْ فَقَدَ لوازم الحياة السعيدة »[٧] وفي طليعتها : العلم النافـع والعمل الصـالح ، ولَحِقَ بـالأموات ، بحلول الجهـل وفساد الإرادة الحرة . . ولا يُحْيِيْهِ ، قبل ذلك وبعده ، إلاّ علم حق وعمل حق تندب إليهما الفطرة . وما يدعو إليه الرسول (ص) هو الدين الحق المتجلي في الإسلام الذي يفسره القرآن الكريم باتباع الفطرة فيما تندب إليه[٨] .

هذا في الحياة الدنيوية ، أما الحيـاة الأخرى التي تـندب الآية الكـريمة السابقة إليها أيضاً ، فهي الأرفع قدراً ، والأعلىٰ منزلة ، وهي الحيـاة الحقيقية الأكمل[٩] . . ورسول الله (ص) ، بالإسلام ، يدعو الناس إلى هاتين الحياتين لما فيه خير الإنسان فيهما ، وبهذه الدعوة كانت الأمة الإسلامية خير أمة ، وفاق قوله جلَّ وعلا : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكـر وتؤمنون بـالله﴾**[١٠] ، وهي دعوة غيـر منقطعـة مهما تبـدلت الأحـوال وتتابعت الأزمان . . انه تكليف الأمة المعادل لوجودها ، والملازم لحضورها ، ومنهاجها المستقيم أبداً ، **﴿فأدعُ واستقِم كما أُمِرتَ ولا تتَّبع أهواءهم﴾**[١١] ،

---

(٥) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .
(٦) الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/ ٩ ـ ص/ ٤٢ .
(٧) (م . ن) ـ ص/ ٤٤ .
(٨) (م . ن) .
(٩) (م . ن) ـ ص/ ٤٥ ـ ٤٦ .
(١٠) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .
(١١) سورة الشورى ، الآية : ١٥ .

﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾[١٢] بما المسلمون أمة العدل والوسط التي لا افراط منها ولا تفريط ، إلى ذلك تدعو خالصة في عبوديتها لله ، مهتدية إلى سواء السبيل ، وهادية إلى شريعة الحق والخير[١٣] ، ومهاجرة أبداً إلى القبلة المشتركة الواحدة[١٤] . وما المسلمون في ذلك كله إلاّ نموذج نوعي وحضاري متكامل على طريق الهجرة إلى الله ، بجهاد مزدوج : جهاد يحرر الإنسان من الداخل ـ وهو الجهاد الأكبر ـ وجهاد يحرر الكون من الخارج ـ وهو الجهاد الأصغر ـ « لأن هذا الجهاد [الأخير] لن يحقق هدفه العظيم إلاّ في اطار الجهاد الأكبر »[١٥] . لكن الجهادين غير منقسدين ، بل « يسيران جنباً إلى جنب »[١٦] ، عملاً بمنهج النبي (ص) الذي كان ينتقل بأصحابه دائماً من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، بل كانوا يمارسون الجهادين في آنٍ معاً[١٧] ، كذلك كان نهج الأنبياء ، وكذلك كانت ثورتهم : تحريراً جوَّانياً ، وتحريراً للعالم في الوقت نفسه ، أو ـ على الأقل ـ مرحلة من مراحل انجاز هذا التحرير العالمي ، ونقلة في اتجاهه ، أو قل : إنه تحرير بالقوة على طريق التحرير بالفعل .

تلك هي البنى التأسيسية للمشروع الحضاري للإسلام كما تَنَزَّل به الوحي ، أو كما شاءه أن يكون ، وكما جاهد في تحقيقه وارساء قواعده خاتم النبيين (ص) . ولم يطل الزمن حتى راحت المسيرة الحضارية للأمة تتداعى وتتحلل وتنشطر ، بالرغم من حالة التمدد والتوسع المختزنة لحالات وأوضاع مَرَضيَّةٍ معقدة من القمة إلى القاعدة . واستمرت عوامل التفسخ والإنهيار

---

(١٢) سورة البقرة ، الآية : ١٤٣ .
(١٣) أنظر :
ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/١ ـ ص/٣١٩ ـ ٣٢٠ ، وص/٣٢٣ .
(١٤) أنظر :
ـ شريعتي ، علي ـ « الأمة والامامة » ـ (م . س) ـ ص/٣٥ .
(١٥) الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » (م . س) ـ ص/٢٧ .
(١٦) (م . ن) ـ ص/١٦٠ .
(١٧) (م . ن) .

والذهول عن الذات تتراكم وتتفاعل إلى أن صارت الأمة أمماً بفعل التجزئة والتبعيات واختراقات البدائل الحضارية المستوهمة ، وهجران القنوط واللوذ بالمثل السرابية أو السلفيات المتكلسة والرّجعية .

ومع ذلك كله ، وفي تاريخ هذا الإختناق ، وبفعل الفساد والافساد الشاملين ، وعلى خطى الأنبياء والأئمة والصدِّيقين وأولياء الله الصالحين الذين حفظوا وحافظوا على الإسلام أمانة إلٰهية للأجيال ، كانت نهضة الإمام الخميني بالمشروع الأصيل ، وأحوال الأمة كما وصفنا ، طاوياً في وعيه التاريخي ثلاث مساحات : الأمة كما كانت ، والأمة كما هي ، والأمة كما يجب أن تكون . ولم تكن معايير هذا الإدراك إلاّ معايير الإسلام في سننه التاريخية والتطورية والإجتماعية والسياسية ، وقوانينه ومفهومه للإنسان والحياة ، كما سبق لنا وأكدنا مراراً . فمن الإسلام جاء الإمام ، وبه انطلق ، وإلى تحقيق أهدافه وصل ليله بنهاره في شتى الميادين والمجالات ، وإلى مشروعه نهض ودعا واستنهض الداخل والخارج ، والقاصي والداني ، والمجتهد والجهلة من العامة ـ وصولاً حتى إلى ظالمي أنفسهم والخصوم الإيديولوجيين والأعداء .

ولم يكن بدّ ، كما السُّنَّة والقانون الإجتماعيان والسياسيان ، من وجود حملة لمشروع الإستنهاض المستفيق ، يؤمنون به ويعرفون تفاصيله ، ويَسْتَلُّون حجج التأثير والاقناع به ، ويربون الأمة على الإنخراط في الجهادين الأكبر والأصغر لتحقيق أهدافه ، ويدعون إليه العالم ، و« يُنَمْذِجُونَهُ » في أنفسهم وللآخرين قدوة ومثالاً وأخلاقاً ، ويشحذون نحوه الهمم ، ويستثيرون العقول والأفئدة ، ويستنطقون التاريخ والحياة ، ويخططون للمعيش والمستقبل ، وهم يطوون في وعيهم خط المساحات الثلاث الآنفة الذكر وصولاً إلى تحقيق أهداف الرسالة كاملة واضطلاع الأمة بمسؤولياتها التي اختارها الله لها .

ولا يمكن لهؤلاء الهداة المبلِّغين ، إلاّ أن يكونوا مهتدين أصلاً ، ليستطيعوا هداية الآخرين إلى ما هم مهتدون به وإليه ، كما أن كونهم مهتدين يكلفهم ويلزمهم هداية غيرهم . ومن هذا التكليف يتشكل التزامهم الإجتماعي ، إذ ليس بمقدور مسلم أن ينعزل أو يعتكف عن سائر الأمة ليصل

إلى الجنة وحده . « فالمجتمع يشكل علة مادية »[١٨] لعمل المستنهض الذي يفقد أي مبرر له إذا لم يكن « حاملاً لعلاقة مع هدف وغاية ، [ولم يكن] في نفس الوقت ذا أرضيةَ أوسع من حدود الفرد ، وذا موج يتخذ من المجتمع علة مادية له ، وبهذا يكون عمل المجتمع »[١٩] .

في مدى الرؤية هذه نقرأ العلاقة التكافلية التضامنية بين المستَنْهَضين والمستنهضِين ، وبين ما تحدث عنه القرآن في صيغَتَيْ « كتاب الأمة » و« كتاب الفرد » من خلال قوله تعالى : **﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تُدعى إلى كتابها اليوم تُجزَوْنَ ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنَّا كنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**[٢٠] ، وقوله تعالى : **﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً * إقرأْ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾**[٢١] . وعندما يحمل عملُ المستنهض في مستَنْهَضِيه روحاً تغييرية على أساس التصويب والتقويم ، أو على أساس الإصلاح أو الثورة ، فإن هذا العمل يتفتح على بعد تاريخي باعتباره عملاً نوعياً ينعكس على مسيرة الأمة ، فيصبح مَدَّاً ظاهراً ، وحافزاً انبعاثياً تستجيب له فيتمثل في كتابها ، وتستفيد من مفاعيله ونتائجه ليغدو موضوعاً للسنن التاريخية[٢٢] ، أي قوانين الله في عباده وفي الوجود .

وفي مدى هذه الرؤية أيضاً نقرأ دور الداعية المبلِّغ في دور الأمة وحضنها بما هما دوران متكاملان ديناميان . ففي الوقت الذي يكون فيه الداعية داعياً فهو مدعو أيضاً ، وفي الوقت الذي تكون فيه الأمة مَدْعوَّة فهي داعية أيضاً ، بتجذر

---

(١٨) الصدر ، محمد باقر - « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » . (م . س) - ص/٧٧ .
(١٩) (م . ن) - ص/٧٨ .
(٢٠) سورة الجاثية ، الآيتان : ٢٨ - ٢٩ .
(٢١) سورة الإسراء ، الآيتان : ١٣ - ١٤ .
(٢٢) أنظر :
الصدر ، محمد باقر الصدر - « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » - (م . س) - ص/٨٠ - ٨٣ .

وانتشار « عدوى » الرسالة في نسيج خلاياها وأجزائها ، بما هي رسالة تقدمية متجددة من خلال ثوابتها الإلهية ، « فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » - وفاق قول رسول الله (ص) . ولعلنا لا نبالغ إذا زعمنا أن الداعية هو أمة في رجل ، تتجسد فيه ، ويذوب فيها ، على قاعدة من التوحد الغائي والمشاركة في الهم والمصير والمسيرة فكلما تحقق على دربها هدف أو اهتدت إلى حقيقة ، انتقل كل من الداعية والأمة ، أو كلاهما ، إلى هدف أسمى وحقيقة أكبر .

بهذه الدلالات لا يكون المستنهضون والدعاة الإسلاميون مجرد « كادرات حزبية » - بالمعنى التقليدي للعبارة - ، ولا وسطاء إيديولوجيين ، ولا تكنوقراطيين إعلاميين ، بل هم تراجمة إلهيون ، ومربون للأمة ، ورساليون إنسانيون ، ونموذج حضاري للمسلم الحقيقي الذي لا يرى في غير العبودية لله معنى لخلقه ووجوده على هذه الأرض ، ولا يجد خارج الإسلام مشروعاً فيه ضمان لخير الإنسانية وسيادة الحق والعدل بين الناس . ولذلك ارتضى الاضطلاع بمسؤوليات جسام والتصدي لأصعب المهمات نظراً لضخامة الأمانة وحجم الصعوبات والموانع .

على صورة الإمام الخميني ، إذن ، كان مثال المستنهض الإسلامي ، وبالمواصفات والشروط التي عرفناها في الإمام نفسه - رضوان الله عليه - ، وقد كانت حوله ثلة من التلامذة والعلماء والشباب أخذوا على عاتقهم حمل الرسالة وتبليغها مهما تكن التضحيات فنالهم منها الكثير إغتيالاً وسجناً ونفياً وتشريداً ومزارات شهيرة مشهودة قبل أن تؤتي جهودهم أُكُلَها ، فكانوا خير قدوة لخير قضية .

لقد أدرك الإمام منذ البداية المدى الكبير للمسؤولية التبليغية فقال : « ان مسؤوليتنا اليوم ، في الوقت الذي تتعاون فيه كل قوى الإستعمار وعملائه وحكامه الخونة ، والصهيونية ، والمادية الملحدة ، على تحريف وتشويه الإسلام ، هذه المسؤولية اليوم أكبر منها في أي وقت مضى »[٢٣] . إلاّ أنه توجه

---

(٢٣) الخميني ، الإمام روح الله - « الحكومة الإسلامية » (م . س) ص/١٢٠ - ١٢١ .

في حملها إلى علماء الإسلام أساساً . لأسباب باتت في أذهاننا بمثابة المسلمات ولعل في طليعتها ذلك الإخصاب الثقافي والرسالي الذي تنامى في المشرق الإسلامي على أيدي الفقهاء والعلماء على مدى أحد عشر قرناً ، إذ « لا نجد هكذا حياة مستمرة لثقافة من الثقافات طوال أحد عشر قرناً من الزمان ، بل لا يمكن أن نجد دواماً ثقافياً بالمعنى الواقعي ، وبروح وحياة واحدة بدون انقطاع . . طوال هذه القرون المتمادية إلاّ في الحضارة والثقافة الإسلاميتين . وإذا كنا نرى في سائر الحضارات والثقافات سوابق أطول ، لكنها كانت تنقطع وتتوقف ثم تجد حياتها مرة أخرى »[٢٤] . وقد أورث ذلك خزيناً فكرياً ثرّاً تناقلته الأجيال التي تخرجت من المؤسسات العلمية الإسلامية وتحملت تبعات حفظ الإسلام الأصيل على مر الزمان . فظل العالم الديني محتفظاً بدور مرموق وقيادي ، وعلى تماس مستمر بحياة الناس وهمومهم وشؤونهم ، ولو في حدود متفاوتة من الإستقلالية في الموقف والقرار ، في ظروف الصراع غير المتكافىء الذي لم ينقطع مع سلطان الحكام الساعين دائماً إلى احتواء العلماء واستتباعهم واخضاعهم ، وفي مواجهة هجوم الايديولوجيات الوافدة وتقديماتها الحضارية التي أعشت العقول والأفئدة ، وأمعنت في تشتيت الرؤى والصفوف .

يقول الإمام الخميني في هذا السياق : « إن الإسلام قد صِيْنَ وحُوْفِظ عليه ، من البداية إلى اليوم ، بسواعد علماء الدين الكرام . فهم الذين قاموا بشؤون علوم الإسلام ، وقدموا الأدلة والبراهين على حقانية الإسلام وصدق فلسفته . . وهم الذين برهنوا على سموه الأخلاقي بفضل التزاماتهم العرفانية المجيدة ، وهم الذين حافظوا على الفقه الإسلامي ، وحفظوه من التحريف والتشتت ، وهم الذين دافعوا عن سياسته ، وحافظوا على خططه من الضياع والإنحراف . كل ذلك إنما بقي محفوظاً إلى اليوم بفضل الطاقات الضخمة التي بذلها العلماء الروحانيون ، علماء الدين العظام »[٢٥] .

---

(٢٤) المطهري ، مرتضى ـ « الإسلام وإيران » ـ الترجمة العربية ـ الجزء الثالث ـ ص/٣٤٤ .

(٢٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٢٣٥ .

لم تكن المواصفات التي أكد الإمام على ضرورة تحلي المستنهِضين بها ، خارجة عن مثال الداعية/ النموذج الذي وصفناه ، وهي نفسها التي طالما تميز بها المبلِّغون الإسلاميون في التاريخ منذ قيام البعثة النبوية الشريفة ، والتي تمثلت ـ خصوصاً ـ في علماء الدين ، أو ـ على الأقل ـ إفْتُرض تمثلها فيهم ـ ، وأهمها السعة في العلم والوعي ، مع ما يستدعيه ذلك من معرفة معمقة بالعقائد والأصول والأحكام الإسلامية ، وبالنفس الإنسانية وأسرار فطرتها وقابلياتها وفاق المنظور الإسلامي ، واقتران العلم والمعرفة الهاديين الغائيين ، بالتطبيق العملي ، إذْ « لا ينفع العلم بدون العمل . العلم والعمل جناحان يرفعان الإنسان إلى درجة الإنسانية » ـ بتعبير الإمام[٢٦] ـ . يُضاف ذلك إلى ضرورة التحلي بالفضائل والقيم الأخلاقية الإلٰهية ، والقدرة على استقطاب الناس واقناعهم والتأثير فيهم وارشادهم إلى سواء السبيل ، وفاق المعايير التي سبق تحليلنا لها .

ولا ريب في أن هذه المواصفات ، متكاملة ، لا بد أن يرافقها إيمان المستنهض اليقيني بتفاصيل مشروع الاستنهاض الذي يرفع لواءه والمتجلي في « العقائد والأهداف الإسلامية السامية التي تستند أصولها ومبادؤها إلى الفطرة الطاهرة والعقل الإنساني السليم »[٢٧] . وبذلك يتحول المستنهض إلى قدوة ومركز استقطاب وجاذبية للمستنهضين ، بحيث يطمئنون إلى أنهم قد وجدوا في المستنهِض ضالتهم[٢٨] وأسوتهم الحسنة ومصداقية ما يدعوهم إليه ، فتنجح عملية اعادة صناعة الإنسان فيهم وينقادون إليه ما داموا قد لمسوا فيه « الأهلية والإخلاص ونكران الذات »[٢٩] ، ويتقبلون التسليم بقيادته . وعلى هذا يكون

---

(٢٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ في :
ـ المهري ، محمد جواد ـ « جوانب من أفكار الإمام الخميني » ـ (م . س) ـ ص/٩١ .

(٢٧) جعفري ، محمد تقي ـ « الإنسان كما تطرحه مسألة التبليغ الإسلامي » ـ الترجمة العربية ـ ص/٦ .

(٢٨) راجع : ـ (م . ن) ـ ص/٧ .

(٢٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٨ .
ـ أنظر أيضاً : ـ (م . ن) ـ ص/١٠٧ ـ ١٠٨ .

قد أدى الأمانة الإلٰهية التي تعهد بإيصالها إلى الهدف ، وأنفذ فعل هذا التعهد بجعلها خبزاً يومياً للأمة ، ومَعِيْناً لا ينضب تنهل منه وتتزود في مسيرتها الشاملة .

ولن يكون في وسع العلماء المستنهضين « قيادة الأمة إلى الصلاح »[30] المنشود إلّا بعد أن يكونوا قد استوفوا مهمة اصلاح أنفسهم وهيئاتهم ومجامعهم الدينية[31] ، فتتضح عوامل مبايعتهم والتأسي بهم ، وتستتِمّ شروط شرعية تحركهم وقوته بتوحدهم في الناس . وما تلك القوة إلّا استمداد من قوة المستنهضين ، وليست راسخة إلّا بها : « ان قوة العلماء مستمدة من قوة الشعب ، لذلك فهي راسخة لا تتزعزع »[32] ، وبإتحاد هاتين القوتين المتصعِّدَتين من وحدة المشروع الإحيائي الذي يضطلعان به ، يكمن سر انتصاره . وها هو الإمام يؤكد على الدعوة إلى تلك الوحدة الشاملة قائلاً : « يجب أن تعمل جميع القوى الإسلامية من العلماء الأعلام والخطباء الكرام وطلبة العلوم الدينية والجامعيين والشباب الأعزاء والتجار المحترمين والعمال والفلاحين الشرفاء الواعين ، وجميع التنظيمات والأحزاب السياسية . . . يجب أن تعمل كل هذه القوى بقلب واحد لتوعية ضباط الجيش والشرطة ، وتشاركهم في اسقاط هذا الشاه المجرم ، وتحرير هذا الشعب من هذا الظالم الباغي »[33] ، وذلك كهدف مرحلي على طريق تحقيق الهدف الأكبر ، وهو اقامة الحكم الإسلامي وبناء السلطة القادرة على تلبية احتياجات الجماهير الأساسية[34] استناداً إلى « المثل الأعلى الوحيد . . وهو عصر الرسول العظيم (ص) وعهد الإمام علي بن أبي طالب (ع) »[35] . « فمن أجل نيل هذه الأهداف يجب أن تعمل جميع فئات الشعب بقلب واحد واستراتيجية واحدة ،

(٣٠) (م . ن) - ص/١٣٢ .
(٣١) (م . ن) - ص/١٣٣ و١٣٥ و١٢٣ .
(٣٢) الخميني ، الإمام روح الله - « دروس في الجهاد » - (م . س) - ص/٢٤٣ .
(٣٣) (م . ن) - ص/٣٦٥ .
(٣٤) (م . ن) - ص/٣٢١ .
(٣٥) (م . ن) .

وأن ترفع الشعارات المراعية للزمان والمكان »[٣٦] .

وإذا كان الإمام يعتبر علماء الدين ، والشباب منهم خاصة ، عماد فعل الاستنهاض وطليعته الحيَّة ، فإنه كان يرى أيضاً إلى شريك نوعي آخر لهم قوامه الطلبة الجامعيون والمثقفون الإسلاميون باعتبارهم قادرين ومؤثرين في دفع النهوض قدماً بما يملكون من ثقافة ووعي والتزام ، فيوصي العلماء بالتعاضد والتآخي والتكامل مع هؤلاء : « مُدُّوا يد الأخوة إلى اخوانكم المثقفين والجامعيين . . قفوا إلى جانبهم ، وتعاونوا جميعاً على العمل من أجل البلدان الإسلامية ، فإنها على حافة الهلاك »[٣٧] .

على هذا التآخي الإسلامي عقد الإمام أبلغ الآمال مُحَدِّداً دوره ومهماته إذْ يقول : « انني أعقد أبلغ الآمال ـ وأنا في منفاي الثاني ـ على جهود الشباب المسلم من علماء دين وجامعيين ، وأتوقع أن يتمكنوا ، بعد تهذيب أنفسهم واخلاص نياتهم ، من التعمق في الدراسة والبحث في سبيل معرفة الشريعة الإسلامية وأسسها النيِّرة ، وأن يُعَرِّفوا الإسلام للناس على حقيقته ، وأن يوقظوا الأمة ويبينوا . . أوجهَ الفرق بين الإسلام الذي أتى به رسول الله (ص) ، والإسلام المزيَّف »[٣٨] .

وفي السياق نفسه يقول أيضاً : « يجب عليكم ـ أنتم شباب الإسلام الواعي وأمل أمتكم الإسلامية ـ توعية الجماهير وفضح أدوار المستعمرين وخططهم المشؤومة . . . إبذلوا مزيداً من الجهد في سبيل معرفة الإسلام ، وادرسوا تعاليم القرآن المقدسة جيداً ، وطبقوها ، وزيدوا من سعيكم واخلاصكم من أجل نشر الإسلام وأهدافه الكبرى وتعريف الأمم الأخرى بها . . ومزيداً من الإهتمام بمسألة الدولة الإسلامية والمسائل المتعلقة بها . . كونوا مهذبين ومدربين . . اتحدوا وتنظموا ورصوا صفوفكم ، واسْعوا لتكوين

---

(٣٦) (م . ن) ـ ص/٣٢٨ .
(٣٧) (م . ن) ص/٢٤٦ .
(٣٨) (م . ن) ـ ص/١٧٦ .

الإنسان المضحي المتوافق معكم فكرياً . . »[٣٩] .

هكذا تتحرك دائرة الاستنهاض الإحيائي منطلقة من الإسلام علماً ووعياً به ومنه وَلَهُ ، وأخلاقيةً في العمل به ، خروجاً إلى ميدان الاستنهاض الكبير وهو الأمة . . فالعالم بحيث تكون معرفة الإسلام والعلم به نقطة مرجعية ، فالعلم أقوى داعية إلى العمل الذي يدور في جميع شؤونه مدار العلم ، يقوى بقوته ، ويضعف بضعفه ، ويصلح بصلاحه ، ويفسد بفساده[٤٠] . وإذا ما انضبطت المعرفة والعلم بالإسلام وبالقيم الأخلاقية الإسلامية ، فإن العمل والتطبيق لا يحيدان عن الأهداف التي يرتقي إليها العلم . وبالتالي فإن التبليغ/ العمل ، أو الإستنهاض/ الفعل ، لا يكونان إلاّ في خدمة هذه الرسالية المعرفية والإرتفاع بالأمة إليها . . ثم بالعالم . ولا يبلغ المستنهِض الغاية إلاّ بالعودة إلى مرجعية العلم بالإسلام والتخلق بأخلاقه ليتزود بالمزيد من الوعي والمعرفة والحصانة الأخلاقية ، ليتابع استنهاضه بوعي أعمق وثقافة أشمل توصلاً إلى هدف/ حقيقة أسطع . وبذلك ، لا يفارق الاغتراف المعرفي الداعية في حركته كلها ، فإذا هو في كلٍ دورة من دوائرها متجدد مرتقٍ ضابط لمساره ، ومُحَصِّن له من الانحراف والتشتت والضياع ، فتبقى أهدافه نصب عينيه باعثةً لكل أنشطته ومُحَفِّزة لكل طاقاته .

ولا يكتفي الإمام بهذه التعاليم والوصايا العامة ، لكنه ، في الكثير من الأحيان وحيثما رأى في ذلك مصلحة للأمة ، يخوض في وضع خطط شاملة وضوابط دقيقة لتوجهات المستنهِضين : « عليكم ، أنتم الشباب الواعي . . أن تضعوا الإسلام وأحكامه في مقدمة أهدافكم ، وأن تحقيق هذا الهدف السامي لا يتم أبداً بدون الوصول إلى الدولة الإسلامية العادلة »[٤١] ، وبما أن التولي

---

(٣٩) (م . ن) ـ ص/١٥٧ .

(٤٠) راجع :

ـ الطباطبائي ، السيد محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/٣ ـ ص/٣٧٢ .

(٤١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

والتبرؤ هما أصلان أساسيان في الإسلام ، فإن على هؤلاء المستنهضين أن يؤيدوا الدولة العادلة ، ويلتفوا حول الحكم العادل ، وأن يتبرأوا من النظم اللاإسلامية . وبدون ذلك لا يمكن لهم أن يحققوا الإستقلال والحرية »[٤٢] .

ولم يكن الإمام لينسى أحد أخطر آفات الممارسة السياسية عندما نبه في دروسه الجهادية « جميع فئات الشعب » ـ ولعله يقصد المستنهضين أولاً ـ إلى مغبة الإنزلاق إلى رفع الشعارات التي ـ وإنْ كانت صائبة في المطلق ـ لا تراعي ظروف الزمان والمكان . وقد رأينا قبل بضع فقرات من هذا النص كيف لفت الإمام الخميني إلى التلازم القائم في صوابية العمل السياسي وصدقيته بين « رفع الشعارات المراعية للزمان والمكان » ، وبين وحدة « جميع فئات الشعب » في العمل على تحقيق « استراتيجية واحدة » . مما يعني أن طرح الشعارات الصحيحة في الزمان الخطأ وفي المكان الخطأ مُضِرٌ بوحدة حركة المستنهَضين وباستراتيجية نهضتهم ، وكأنه في النتيجة معادل لتَقلُّد الشعارات الخاطئة[٤٣] . ولا يحتاج المرء اليوم إلى طول عناء ليرصد حجم العثرات والإنتكاسات والمشاكل التي يعاني منها بعض الحركات الإسلامية المضطلعة بمهمات استنهاضية في مناطق كثيرة من العالم الإسلامي نتيجة للحسابات السياسية المتسرعة المؤدية إلى رفع شعارات « مغامِرة » لا تتناسب وضرورات الزمان أو المكان ، أو الاثنين معاً . حتى أن بعضَ العاملين الثوريين المخلصين قد أسهموا ـ ولو بحسن نية ـ في تضييع الكثير من الإنجازات وفرص الإنتصارات على شعوبهم ، في الوقت الذي كان فيه أعداء قضيتهم الكثر يتربصون بهم الدوائر ، ويتصيدون الأخطاء وخصوصاً من هذا الصنف الخطير ، غالباً على قاعدة : الحق الذي يراد به باطل . إلّا أن خطأ التقدير عند بعض هؤلاء المجاهدين لا يبرر ـ في رأينا ـ على الإطلاق حملات الإنهزاميين والمنافقين السياسيين الذين لا يتورعون ، تحت هذه الذريعة أو تلك ، عن الانقضاض على كل ، أو على بعض الشعارات الإستنهاضية التي ترفعها أية

---

(٤٢) (م . ن) .
(٤٣) (م . ن) ـ ص/٣٢٨ .

حركة إسلامية مجاهدة ، وغالباً بحجة عدم موافقتها الزمان أو المكان ، أو كليهما .

في السياق نفسه وفي أصول التعاطي مع الخصوم العقائديين أو المتأثرين بالإيديولوجيات المضادة ، يطلب الإمام من المستنهضين الإسلاميين المبادرة إلى دعوة « كل الذين يخالفون الإسلام ، عقيدة وعملاً ، والذين ينسقون مع المدارس الأخرى ويميلون إليها . . إلى مدرسة الإسلام التقدمية العادلة »(٤٤) . أما من ينكص على عقبيه منهم ولا يقبل الدعوة فـ «عليكم أن تتبرأوا منه ، أو تحذروه على الأقل ، مهما كانت منزلته ومكانته »(٤٥) ، لأن الإمام يعلم حق العلم أنه « ما لم توحد عقيدة التوحيد وروحها في شخص ، فإنه من المستحيل أن يتخلى عن ذاته ويعطي كل فكره للأمة »(٤٦) . **﴿ومَنْ أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام﴾**(٤٧) . **﴿الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذْ تدعون إلى الإيمان فتكفرون﴾**(٤٨) .

ومع كثرة أعباء المستنهضِين واختلاف أنشطتهم وتنوعها ، فإن الإمام لا ينفك يؤكد على ضرورة التزود المستمر بذخائر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية وتوسيع آفاق وعيهم بها ، وتثبيت انتمائهم إليها وتعميق اعتقادهم بأصولها ، وتوثيق اطلاعهم على تاريخها وتجاربها والتكريس الدائم لقيمها في أرواحهم وعقولهم ، بحيث « يصرف الشباب الجامعي وطلبة العلوم الدينية الشباب ، قسماً من وقتهم لمعرفة أصول الإسلام الأساسية ، وفي مقدمتها : التوحيد والعدل ومعرفة الأنبياء الكبار (أنبياء أولي العزم) واضعي حجر الزاوية للعدالة الإجتماعية والحرية الحقة ، ابتداءً بإبراهيم الخليل ، وانتهاءً بخاتم الرسل والأنبياء محمد (ص) ، وفي معرفة طرق تفكيرهم في مجالات العقيدة والسلوك الفردي والتنظيم الإجتماعي لكي يتعرفوا على مواصفات الأشخاص الذين

---

(٤٤) (م . ن) ـ ص/ ٢٧٠ .
(٤٥) (م . ن) .
(٤٦) (م . ن) .
(٤٧) سورة الصف ، الآية : ٧ .
(٤٨) سورة غافر ، الآية : ١٠ .

اختارهم الإسلام لدولته العادلة ، وعلى مواصفات الأشخاص الذين رفضهم وطردهم من دولته وكل متفرعاتها »[٤٩] .

وليس هذا التردد الأصولي والمرجعي إلى مصادر الإسلام وعقائده وتاريخه مسألة ثقافية تراكمية بحتاً ، إنما هو « تعميد » معرفي لترسيخ فعل الايمان بالإسلام وتطويره باستمرار في نفوس طليعة الاستنهاض « ليلتزموا بأحكام الإسلام بجميع أبعاده »[٥٠] ويتيقنوا ، بأنفسهم ، بأن الخلاص والحرية الحقيقيين غير متحققين إلّا بالمشروع الإسلامي ، وبأن العدالة الإجتماعية الإلٰهية التي حملها ، هي وحدها الكفيلة بعتق الخليقة من نير الظلم والإستعباد وبناء المجتمع العادل القائم على التوزيع المتوازن والعقلاني ، فيقول الإمام : « عليكم أنتم ، طلبة الجامعات ، وسائر طلبة العلوم الدينية . . . أن تلتزموا بأحكام الإسلام بجميع أبعاده ، وأن تطمئنوا إلى احتوائه كل ما يحقق صلاح المجتمع في تحقيق العدالة الإجتماعية ، ورفع الأيدي الظالمة ، وتأمين الإستقلال والحرية والحلول الإقتصادية وتعديل ميزان الثروات بصورة منطقية ومقبولة . فكل ذلك موجود في الإسلام بصورة كاملة ، ولا يحتاج إلى تأويل خارج حدود المنطق »[٥١] . وإذا ما تحصلت هذه الطمأنينة بكمال المشروع الإسلامي للعالم لدى المستنهضين ، فمن البديهي أن يسعوا ويجدُّوا في نقلها إلى الأمة المستنهَضة فتستعيد بذلك كبرياءها وثقتها بصلابة وعصمة عقيدتها وكمالها ، « فإن في هذا تقوية للروح المعنوية ، واضعافاً لمعنويات العدو واهتزازاً لكيانه »[٥٢] .

على مدى هذه المتابعات والتداعيات الاحيائية التأسيسية ، لم يغادر الإمام الخميني ـ كما رأينا ـ أياً من شروط ومواصفات المستنهِض الإسلامي النموذجي ، والإمام قمة الهرم الإحيائي ، إلّا وأحصاه عندما راح يؤكد على

---

(٤٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/ ٢٧٠ .
(٥٠) (م . ن) ـ ص/ ٢٧١ .
(٥١) (م . ن) ـ ص/ ٢٧٠ ـ ٢٧١ .
(٥٢) (م . ن) ـ ص/ ٢٧٣ .

لزوم تشبث المستنهِضين بالمصداقية والصدق مع الذات والآخرين ، باعتبارهم هـداةً إلى الحق ودعاة للحقيقـة ، وذلك بغيـة تحصينهم من السقـوط ، تحت ضغط الصعوبات واحتدام الصراع مع أعدائهم ، في الـذرائعية الايـديولـوجية والتلفيق السياسي بحيث تفترس الوسيلة المباحة غايتها ، ويَنْحرف ارتفاع حماس تحقيق الانتصارات السريعة ويُضِلُّ عن الأمانة في القول والتعبير والحجـة وفي أسلوب العمـل ، ويحجب السبل المشـروعة في التعبئـة الأخلاقيـة وأخـلاقيـة التعبئة ، طمعاً بإنجاز سهل أو وصولاً إلى هدف قصير النظر .

ففي الإسـلام ، لا وصول إلى حق عن طـريق باطـل ، ولا إحيـاء لحق بـإحياء بـاطل . والحق والحقيقـة ، أولاً وآخراً ، رائـدا الاستنهـاض ، يقـول الإمـام : « كونـوا أشداء أقـوياء في بيـان حجتكم للناس لتغلبـوا عدوكم بكـل أسلحته وعساكره وحرسه . . بَيِّنوا الحقائق للجماهير واستنهضوها »[٥٣] ، « وقد غدا صعباً على الداعية المسلم أن يُعَـرِّف الناس بـالإسلام ، وفي قبـالته يقف صف من عمـلاء الإستعمار ليـأخذوا عليـه الآفاق عجيجـاً وضجيجاً »[٥٤] . . فالمستنهِضُ « يقود عملية الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكـر التي تستتبع أن يقتدي الناس بـه بمجموعهم »[٥٥] ، وبـالتالي فـإن عليه أن « لا يفـرط ـ على الأقل ـ في اظهار الحقائق »[٥٦] ، وقد قال تعالى : **﴿وإن ما يدعـون من دونه هو الباطل﴾**[٥٧] .

وإذا كـان تَوَحُّـدُ المستنهِضِين في الناس ، وتـوحد مُكـوِّنـات وعنـاصـر المجتمع في الاستجابة لطروحاتهم وتلبية دعوتهم ، أساسيَّيْن في توفير أسباب تحقيق الأهداف والوصول إلى النصر ، فـإن وحدة المستنهضِين أنفسهم شـرط ضروري لذَيْنِكَ التوحدين . وقد كان من الطبيعي ، أن يعمل الإمام على ابقاء

---

(٥٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٧ .
(٥٤) (م . ن) ـ ص/٩ .
(٥٥) (م . ن) ـ ص/١٠٨ .
(٥٦) (م . ن) ـ ص/١١٠ .
(٥٧) سورة الحج ، الآية : ٦٢ .

المستنهِضين بنيانـاً مرصـوصـاً في انشـداده إلى وحـدة المشـروع الإحيـائي التوحيدي ، وتوحيد لغتهم وشعاراتهم وحركتهم وانماط انخراطهم التبليغي . إذْ ليس ثمة ما يبرر نشوء الإختلافات فيما بينهم ، طالمـا أنهم يحملون المشروع نفسه والقضية نفسها ، ويجاهـدون لتحقيق ذات الأهداف ، ويقـاومون أعـداء مشتركين . ناهيك بما تؤدي إليه الإختلافات ، التي يعتبرهـا الإمام « سـرطانـاً مدمراً »[٥٨] ، من العواقب والمضاعفات التي تهدد وتفسد كل شيء . ولذلك ما انفـك يدعـو إلى وحدة المستنهِضين المـطلقة : « تجنبـوا الإختلافـات بصورة مطلقة وحتمية ، لأنها تسري كالسرطان المدمر . . إنها تشل النشاطات ، وتُنسي الهدف الأساسي ، وكثيراً ما تسبب في تغيير المسار وتدفع بـالمسيرة إلى غيـر هدف . . أطردوا الأشخاص الذين يثيرون الإختلافات ، أو الذين يتمسكون بها لأنهم إمَّا من المدسوسين ، وإما من ذوي الأغراض السيئة »[٥٩] . . . « فلتكن قلوبكم حديدية . . . رُصُّوا صفوفكم ، ووحِّدوا كلمتكم ، وكونوا من الذين قال الله في حقهم : **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة أنْ ألَّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنـة التي كنتم توعـدون﴾**[٦٠] . . . إنهضوا للثورة والجهاد والإصلاح . . . »[٦١] .

---

(٥٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٢٧٣ .
(٥٩) (م . ن) .
(٦٠) سورة فُصِّلَتْ ، الآية : ٣٠ .
(٦١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٣٦ ـ ٣٧ .



الفصل السابع

قواعد الإسلام

قواعد الاستنهاض

قواعد الإسلام والإستنهاض :

إذا كان المستنهضون الإسلاميون هم عقل الأمة ونبضها ، فالمساجد والمجامع والمناسبات الدينية هي قواعد حركتها ومراكز إجتماعها وفعلها الجمعي اللذَيْن يتجاوز المسلم فيهما « أناه » الفردانية ، حتى على مستوى العبادة ذات البعد الشخصي ، ليصبح الـ« نحن » ، ويتخذ فيها المسلمون صفة « مُصَغَّرِ » الأمة ، فلا يعودون مجرد أفراد متفرقين « شعائريين » فحسب ، بل يتحولون إلى « حالة » تَوَجُّه بالعبودية « المُعمَّمَة » لله ، منقطعين عن عبادة غيره ، وفاق قوله تعالى : ﴿**وأنَّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾[1] . . . ، ﴿**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بَدَأكُم تعودون**﴾[2](*) .

وهذا « الاستدعاء » ، ليس بشرياً على الاطلاق ، قَرَّرَهُ شخص متوجِّهاً

---

(١) سورة الجن ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٢٩ .

(*) ـ راجع : الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان . . . » ـ (م . س) ـ المجلد/ ٢٠ ـ ص/ ٤٩ ـ ٥٠ ، والمجلد/ ٨ ـ ص/ ٧٩ ـ ٨٠ ، والمجلد/ ١٥ ـ ص/ ١٢٦ .

إلى شخص آخر أو إلى جماعة ، لكنه استدعاء إلهي . وعندما يكون الاستدعاء إلهياً ، فإنه يعني استدعاءً إلى المشروع الإلهي الشامل . . أي إلى الإسلام بكليته ، وإلى المسلمين كافة ، وبالتالي فهو استدعاء جمعي مقدس إلى مناسبات مقدسة وأمكنة/ قواعد مقدسة . وليس عبثاً أن يكلّف المدعوون بتلبية الدعوة طاهرين متطهرين جسداً وروحاً ﴿**يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار**﴾[3] ، في قواعد طاهرة يهبون منها قياماً جوانياً وخارجياً للعزة الربّانية ، مُحيين شَعائرها ومنخرطين في شعاراتها ومشروعها ، ارتقاءً عمودياً في التكامل معها .

وفاق هذه الأبعاد الإحيائية المشرعة على المطلق تَتَأنْسَن تلك القواعد فوق المكان والحجر والتقنيات المعمارية والمادية والتاريخ لتصبح استنهاضية لأن البشر هم الذين يحركونها ويتحركون من خلالها حركة خالصة لله ، بعيدة عن اختراقات الداخل النفسي الشيطاني والخارج الطاغوتي ﴿**يُذكَرُ فيها اسمه يُسَبِّحُ له فيها بالغدُوِّ والآصال * رجالٌ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة**﴾[4] . فهذه القواعد هي بيوت له ، وهي بيوت للجماعة الإسلامية أيضاً ، منها أقامت نهضتها صَلاةً ومحافلَ دينية ، وسَيَّرت شؤونها العامة ، وانبثقت مؤسساتها الزمنية ، وشعَّ قضاؤها وعلمها وتعليمها ، وفيها تكوَّنت شبكة وصلها واتصالها وتواصلها بالأمة وسياستها ، وانعقدت عند محرابها رايات حربها وسلمها ومعاهداتها ، وحولها ومن خلالها تنامى الإسلام واضطردت مسيرته ودخل الناس فيه أفواجاً وأفراداً ، فزحفت هذه القواعد إلى العالم والجماعة الإسلامية وراءها[5] .

وبمعنى آخر يمكننا القول إن هذه القواعد ، في تاريخها وحضورها

---

(٣) سورة النور ، الآية : ٣٧ .

(٤) سورة النور ، الآيتان : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٥) أنظر :

ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات . . . » ـ (م . س) ـ الجزء/١ ـ ص/٩٩ .

و ـ مؤنس ، حسين ـ « المساجد » ـ ص/٤٢ ـ ٤٣ .

الدائم في قلب شؤون الأمة كافة ، وحضور الأمة فيها ، وفي طهارتها وقداستها ورموزها ، هي كتاب الإسلام العملي وفعله الروحي ومركز دعوته وتجلٍ أساسي من تجليات كون « عباداته توأم سياساته وتدبيراته الإجتماعية ، فصلاة الجماعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة يؤديان ـ بالإضافة إلى مالهما من آثار خلقية وعاطفية ـ إلى نتائج وآثار سياسية »[6] ولذلك « استحدث الإسلام هذه الإجتماعات ، وندب الناس إليها ، وألزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية ، وتعم العواطف الأخوية ، وتتماسك عُرى الصداقة والتعارف بين الناس ، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح ، وتُبحَث المشكلات السياسية والإجتماعية وحلولها »[7] .

من بساطة هذه العبادات السياسية ، والسياسات العبادية ، تتخذ القواعد بساطتها ، ومن خشوع قلوب المؤمنين وخلوص نواياهم إلى الله تخيم هيبتها ووقارها ، ومن تآخيهم وتقواهم واصطفافهم عند قبلتها ووحدتهم وتفاعلهم ، تتفعل حيويتها ، ومن تكامل فرديتها وجماعيتها تستمد تلك القواعد انصهارها في الجماعة وتكاملها معها ، فمن بحر الأمة تغرف وتُقَدِّم ، ومن دورها تسترفد حركة الأمة شرعيتها وبركات سعيها الإلهي .

خصوصية موقع هذه القواعد والخلايا الاستنهاضية مستمدة من خصوصية العلاقة بين العابد والمعبود في الإسلام ، ومن تكامل الفردي والإجتماعي فيه ، ومن توحد الذات والموضوع في المشروع الحضاري الإسلامي ، وعلى رؤوس الأشهاد بعيداً عن أية أسرار كهنوتية أو توسطات تهتك روحانية الإرتباط بين الله تعالى والإنسان . فإندفاعات المسلم إلى تلك القواعد ، هي مجموعة من الحوافز التي تفيض من جوانيته وباطنه ، ومن الرغبات التلقائية ـ اللاإرادية أحياناً ، وفي لحظات التدفق الروحي الخاص ـ فتجعل « الذهاب إلى الحج من أغلى أماني الحياة ، وتحمل المرء تلقائياً على حضور الجماعة والجمعة والعيد

---

(٦) الخميني ، الإمام ، روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٥ .
(٧) (م . ن) .

بكل سرور وبهجة »[8] .

لقد أدرك الإمام ، وهو إمام حركة الاستنهاض ، أهمية الدور الإنبعاثي لقواعد الإسلام وخلاياه تلك ، فتوجه إلى استدرارها والإفادة من جهوزيتها لترخيم مسيرة النهضة وتنظيمها وإدارة أزمّتِها ، واستنهاض الأمة وإعادة الحياة إلى بدنها المنهك ، واعتبر حركة الجماعة الإسلامية فيها ، وارتباطها بها ، وتقديسها لها ، « فرصاً ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة »[9] بهدف تبيين « العقائد والأحكام والأنظمة على رؤوس الأشهاد ، وفي أكبر عدد ممكن من الناس »[10] ، واعادة الأمة إلى ذاتها واقامة حكم الله في الأرض ، متوقفاً عند خصوصية كل قاعدة لينطلق منها إلى الشؤون العامة للأمة ، هادياً ومربياً ومرشداً ، من الحج ، إلى الأعياد الدينية ، إلى عاشوراء شهر محرَّم . . . الخ ، فلا يترك صلاة جماعة أو مناسبة جامعة إلّا واستخدمها في الدعوة إلى الإسلام ومشروعه العالمي الرحماني ، مستلهماً من كل قاعدة أو مناسبة عِبَرَها وتاريخها ودروسها ، معبِّئاً ومثقِّفاً ومحرِّضاً ، داعياً المستنهضِين إلى بذل وسعهم في الافادة منها وفاق منهجه ، فتحولت هذه القواعد ، بعد حين ، مراجل حامية تغلي بالغضب وتتمخض بالثورة عندما استرجعت كل عبادة من عبادات الإسلام حقيقتها في كونها ممارسة لفعلين متكاملين : أحدهما شخصي وثانيهما اجتماعي سياسي[11] .

والجدير بالإلفات على هذا الصعيد ، أو المشكلات التي تعاني منها عادة حركات الإستنهاض والتغيير في العالم على مستوى الإتصال وتنظيم الصفوف والعلاقة الرابطة بين الجماهير وقيادتها ، ليست مطروحة ـ بذات الحدة على الأقل ـ في دورة الاستنهاض الإسلامي ، وكما قادها الإمام الخميني ، وذلك

---

(٨) (م . ن) .
(٩) (م . ن) .
(١٠) (م . ن) .
(١١) رهبر ، حجة الإسلام ـ « نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في إيران » ـ (م . س) ـ ص/٥٦ .

من خلال ارتباط المستنهضين بأئمة القواعد في المساجد من المستنهضين المرتبطين بدورهم بالمرجع الديني المستنهض ، مما كان له أبلغ الأثر في تشكيل شبكة تنظيمية وعلاقات اتصال وتنسيق دقيقين بين القاعدة الشعبية وقائدها وبتكامل لا انقطاع فيه .

ويأتي في طليعة قواعد الاستنهاض : المساجد التي قال الإمام فيها : انها وحدها التي لم تحمل أسماء أجنبية[١٢] ، فهي « قلاع الإسلام الحصينة »[١٣] ، ولطالما حضّ الناس على قطع هجرتهم عنها والمحافظة عليها[١٤] ، وذكّرهم بتاريخها الجهادي ودورها في توحيد الأمة وخدمة قضايا الإنسان في العالم قائلاً : « لقد انطلقت ، منذ صدر الإسلام إلى اليوم ، كل الحركات من المساجد . فالمسجد هو الذي أوجد القوة الموحدة ضد الكفار والمشركين . . . بهدف قطع أيدي الشرك والكفر ولدعم المستضعفين ضد المستكبرين »[١٥] . كما كان للإمام موقف تجديدي في تأكيده على اعادة الروح إلى صلاة الجمعة الجامعة في المساجد ، فأعاد إلى أذهان المسلمين دورها المجيد في الاحياء والاستنهاض والجهاد ، مستذكراً دروسها والعِبَر ، في التوعية والإرشاد وقيادة المسلمين إلى النصر : « لم تكن الخطب التي تلقى في الجمعات والأعياد والمواسم الأخرى قصراً على وعد ووعيد بجنة أو نار . . كما نرى اليوم ، بل كانت الخطب تصل في ايحائها وتأثيرها إلى أعداد الناس للقتال . . وقد تؤدي إلى انطلاقهم إلى جبهات القتال من باحات المساجد والجوامع من دون أن يأخذهم في ذلك خوف من فقر أو مرض أو موت ، لأنهم كانوا يخافون الله وحده ، ولا يخشون أحداً إلاّ هو . ولمثل هؤلاء يكتب النصر ، ولمثل هؤلاء يُكتب الفتح . . ولو كانت الجمعة مستمرة إلى يومنا هذا

---

(١٢) أنظر :
- حسين ، محمد علي - « الإسلام يقاوم » - ص/٢٧ .

(١٣) الخميني ، الإمام روح الله - « مختارات . . . » - (م . س) - الجزء/١ - ص/١١٢ .

(١٤) (م . ن) - ص/١٢٤ .

(١٥) (م . ن) .

بخطبها وحماسها وروحها وآفاق التفكير فيها ، لما انتهى بنا الأمر إلى الحد الذي ترون . . علينا أن نسعى لاعادة إحياء مثل هذه الاجتماعات ، ونستغلها في التوجيه والارشاد والتوعية والقيادة إلى الصلاح والنجاح . وبهذا يتم للأفكار الإسلامية أن تسع أكبر الميادين ، وترتفع إلى أعلى الآفاق من غير أن يعلوها شيء »[16] .

أما قاعدة الاستنهاض الثانية التي اعتمد عليها الإمام الخميني في دعوته على مستوى الأمة الإسلامية ، فهي قاعدة الحج التي أولاها عناية ورعاية استثنائيتين ، بحيث خصص لها رسالة سنوية منتظمة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران ، يوجهها إلى حجيج بيت الله الحرام ويعرض فيها قضايا الأمة الكبرى ومشاكلها ، مستنهضاً المسلمين إلى وجوب التحرك الشامل للتصدي لها ، داعياً إياهم إلى الوحدة في العمل والصف والأهداف تحت راية الإسلام للتخلص من الظلم والاستضعاف والتخلف والتبعية للاستكبار العالمي ، والسعي إلى تحقيق ما من شأنه تعزيز ونشر قيم الله وأحكامه في الأرض[17] .

والحقيقة أن هذه الرسائل السنوية بالغة الأهمية ، وتحتاج إلى دراسة خاصة ومستقلة نظراً لما تثيره من أمور وشؤون المسلمين والمستضعفين في العالم ، ومن حلول للمشاكل الإنسانية والفكرية والسياسية التي يعاني منها الناس ، ولما تتضمنه من تعاليم وبرامج جهادية تصب كلها في خدمة المسلمين والإنسان ، وتحديد واجبات المسلمين والتزاماتهم في الأوضاع المعقدة التي يعيشون فيها أينما كانوا .

لقد كان موسم الحج فرصة نادرة بالنسبة إلى الإمام ليوصل حملة استنهاضه إلى كل المسلمين في العالم ، عبر هذا الاجتماع الإسلامي الحاشد

---

(١٦) الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام الخميني إلى المسلمين » ـ الترجمة العربية ـ ص/٣١ .

(١٧) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٦ .

المقـدس الذي ليس بمقـدور أي إنسان ، أو أيـة دولة عقـد اجتمـاع بحجمـه وأهميته[١٨] . فَأَمْرُ الله تعالى وحده هو القادر على صناعة هذا الإجتماع العظيم الذي لم يحسن المسلمون ، على مر التاريخ ، الإستفادة من قوته السماوية لنفع الإسلام والمسلمين كما يلزم[١٩] . ولذلك تصدى الإمام لهذا الفراغ الحاصل بكل ما أوتي من عزم وامكانات لإعادة ربط هذا « المؤتمر الكبير »[٢٠] بالأهداف الأصيلة التي أراده الله من أجلها ، بحيث يستفيد حَمَلَ رسالـة الله تعالى « من المحتوى السياسي والإجتماعي للحج ، بالإضافة إلى المحتوى العبادي »[٢١] فلا يكتفون بالجانب الشكلي أو الطقوسي منه ليعودوا بعـده فُرادى متفـرقين لا يرى الحاج منهم الإخلاص نفسه .

يقول الإمام الخميني في هذا المجال : « اعلمـوا أيها المسلمـون ، أن هذا التجمع الكبير ، الذي ينعقد كل عام بأمـر من الله تبارك وتعـالى ، يفرض عليكم بصفتكم أمـة مؤمنة ذات عقيـدة راسخة ـ أن تبـذلوا جهـودكم في سبيل تحقيق أهداف الإسلام السامية وشـريعته الغـراء ، وفي سبيل تقـدم المسلمين وتضامنهم ووحدتهم الشـاملة »[٢٢] . ولن يكون في مقـدور المسلمين الانتفاع من هـذا المؤتمـر الإلٰهي ، على طـريق الأهـداف تلك ، إلاّ إذا عـرفـوا كيف يستخدمونـه « لتبادل الآراء في حـل مشاكلهم العـامة أولاً ، ومشـاكل بـلادهم الإسلامية ثانياً ، وليتعـرفوا على مـا يحل بـاخوانهم المسلمين في بـلادهم من أسـاليب المستعمر ، ومـاذا يجري عليهـا من مصـائب وآلام »[٢٣] . وبـذلـك يستطيعون تَبَيُّن معالم طريقهم وحاجات مسيرتهم ، ليتجهزوا ، من مركز تحطيم الأصنـام في الكعبـة ، « لتحـطيم الأصنـام الكبيـرة التي تجسـدت في القـوى

(١٨) (م . ن) ـ ص/١٢٥ ـ ١٢٦ .
(١٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام . . . » ـ (م . س) ـ ص/١٠٤ .
(٢٠) (م . ن) .
(٢١) (م . ن) .
(٢٢) (م . ن) ـ ص/١٠٣ ـ ١٠٤ .
(٢٣) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/١٣٤ .

الشيطانية والناهبين المفترسين »[٢٤] ، مقتلعين من أعماق نفوسهم عوامل الخوف والاستلاب والاستسلام لقوى مستوهَمَة ، هي في الحقيقة أضعف بكثير مما تبدو فيه ظاهرياً .

من هنا ، كانت وصايا الإمام للحجيج بالإتكال على الله والتعاهد فيما بينهم على « الاتحاد والاتفاق في مواجهة جنود الشرك والشيطان »[٢٥] ، وتجنب التفرقة والتنازع ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾[٢٦] ، « فالإجتماع في الحق ، وتوحيد الكلمة ، وكلمة التوحيد ، هي منبع عظمة الأمة الإسلامية الموصل إلى النصر »[٢٧] .

إن هذه الطروحات التي رأى الإمام إلى موسم الحج من خلالها ، هي ، من غير شك ، انعطاف مفهومي كبير في اتجاه العودة إلى الينابيع والأصول الإسلامية التي لم تكن عبادة الحج فيها وهو « أحد أركان الدين ومن ضرورياته ، وتركُهُ مع الإقرار بوجوبه هو من المعاصي الكبيرة ، وانكار وجوبه موجب للكفر »[٢٨] إلّا مصادر طروحات الإمام ومرجعها . فلم يكن الحج أيام النبي (ص) إلّا في الإطار الذي أعاد الإمام رسمه وربطه بالمتغيرات الزمنية والإجتماعية والسياسية المستجدة ، فكان له في رسول الله (ص) أسوة حسنة عندما قام بمفرده ليرفع لواء التوحيد لصالح المستضعفين ، في وجه عَبَدَةِ الأصنام والمستكبرين ، « وبالرغم من قلة العدد والعُدَد . . فإنه هاجم الطغاة والجائرين بقوة الايمان وقدرة الإرادة ، وأوصل نداء التوحيد إلى أسماع العالم في أقل من نصف قرن ، وعلى أوسع رقعة من المعمورة »[٢٩] .

---

(٢٤) (م . ن) ـ ص/١٣٥ .
(٢٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام . . » ـ (م . س) ـ ص/١٠٩ .
(٢٦) (م . ن) ـ ص/١١٠ .
(٢٧) سورة الأنفال ، الآية : ٤٦ .
ـ أنظر أيضاً : ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام . . . » ـ (م . س) ـ ص/١١٠ .
(٢٨) (م . ن) .
(٢٩) الخميني ، الإمام روح الله ـ « مناسك الحج » ـ الترجمة العربية ـ ص/٥ .

وهكذا أعاد الإمام وصل عبادة الحج بجذورها لتكون قاعدة ركينة من قواعد الاستنهاض والدعوة على مستوى الأمة كلها .

أما القاعدة الاستنهاضية الثالثة التي استمسك بها الإمام عروة وثقى ، يشدُّ بها النفوس ، ويشتد على الظلمة الجبارين ، فهي قاعدة الشهر المحرَّم « شهر المصائب والبطولات والكفاح . . وشهر الثورة العظيمة لسيد الشهداء وقائد أولياء الله الذي أعطى بثورته في وجه الطاغوت ، درس البطولة والكفاح للإنسان ، وأعلن أن طريق القضاء على الظلم وهزيمته ، هي مواجهته بكل الإمكانات والقوى والإستعداد للفداء ، وهذا هو عنوان تعاليم الإسلام لشعوب العالم إلى الأبد » ـ وفاق قول الإمام الخميني[٣٠] .

لقد جسد الإمام نهضته لقضية الحق والحرية والعدل والإنسان ، بما هي الإسلام كله ، في نموذج نهضة الإمام الحسين (ع) سائراً على هدى ثورته المقدسة ودلالاتها وقيمها ، مستهدياً بدروسها الثورية في استنهاض المسلمين وخلق جيل مجاهد واع وفدائي ، يلهب بحركته الدنيا في وجوه الظالمين والخائبين ، ويستنهض الناس إلى الوعي والحركة ، ويحرضهم على الانتفاض والتضحية دفاعاً عن الإسلام ومشروعه المقدس[٣١] ، فكان لهذا الضخ الحسيني المتدفق في نفوسهم آثاره البالغة ، بعد أن عاش المسلمون الشيعة عامة ، والإيرانيون منهم خاصة ، أربعة عشر قرناً ملاحم عاشوراء حتى امتزجت بأرواحهم وعقولهم[٣٢] . إلاّ أنها ظلت في الغالب ، مناسبات تميل إلى درامية غير موظفة في اجتراح وعي جديد ، وصناعة الإنسان المسلم الجديد بحيث تستمر موصولة بنموذجها الجهادي الأصلي لتستنبت منه قياماً إسلامياً دائماً ضد الانفلات من الحق ، والركون إلى الظلم ، والسكوت على الطغاة ، فكان الإمام بمثابة حلقة الوصل المفقودة التي أعادت التحام الأمة بمشروعها ، فتداعت إلى الانتظام خلفه ملبية نداءه المنطلِق « من قلب ثقافة الأمة ومن أعماق

---

(٣٠) الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام . . . » ـ (م . س) ـ ص/١٠٩ .
(٣١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ (م . س) ـ ص/٢٥٢ ـ ٢٥٣ .
(٣٢) (م . ن) ـ ص/٢٥٣ .

روحها ، ومن مزيجها الحضاري »[٣٣] ، وقد دفع بها « إلى أن تسبغ الوضوء من ينبوع الحب الإلهي »[٣٤] فخرجت « مكبّرة مهللة لتحطم عروش الظالمين »[٣٥] ، بعد أن « عاشت طويلاً أمل الإنخراط في زمرة أصحاب الحسين . . فوجدت نفسها فجأة على مسرح كربلاء وتبوك وبدرٍ وأُحُدٍ وخيبر . . . وجدت نفسها أمام الحسين وجهاً لوجه »[٣٦] .

ولم يكتفِ الإمام الخميني باعتماد عاشوراء الشهر المحرم مقتصرةً على المناسبة بذاتها ، بل عمد إلى جعلها بمثابة الحصاة التي تُرمى في المياه الهادئة فتتسع دوائرها إلى ما لا نهاية ، إذْ دفع بها إلى مستوى الفعل الديناميي الذي تتفجر منه باستمرار فعالٌ جديدة بمواصفات نموذجية واحدة ومتكاملة . فأسرع إلى مصائب الأمة على مدى التاريخ ، وإلى المصائب والإنتكاسات والنكَبات الجديدة ، يرفعها ويرتقي بها إلى مستوى مظلومية الإمام سيد الشهداء (ع) ، باعتبار معاناة الأمة وآلامها وأحزانها وتعطشها إلى الحق والعدالة وكأنها في كل جرح من جراحها النازفة ، حسين جديد ، تحاول صرعها ـ كما صرعته ـ طواغيت من ذات الصلب ، ومن نفس النمط ، وللأسباب ذاتها . يقول الإمام للمستنهِضين من العلماء : « وكما تحتفظونَ بذكرى عاشوراء الحزينة ، ولا تُفَرِّطون بها ، فلتكن المصائب التي حدثت للدين الإسلامي ، من اليوم الأول وإلى يومنا هذا ، عاشوراء جديدة تُحيون ذكراها باستمرار »[٣٧] .

وكان أن تحول تاريخ الأمة ، لكثرة ما حل بها من ابتلاءات ، وشدة ما عصف بها من محن إلى درجة بات معها في كل يوم ذكرى مرارة ، إلى تاريخ متخم بالمآسي ، مروِّع بالأحزان والمساقط والدماء ، فَصَحَّ الشعار الذي يرفعه

---

(٣٣) المطهري ، مرتضى ـ « مسائل النظام والثورة » ـ نقلاً عن :
ـ حسين ، محمد علي ـ « الإسلام يقاوم » (م . س) ـ ص/٢٢ .
(٣٤) (م . ن) .
(٣٥) (م . ن) .
(٣٦) (م . ن) .
(٣٧) (م . ن) .

المسلمون في إيران : « كل يوم عاشوراء ، وكل أرض كربلاء » . وإذا الإمام الحسين ، بما كان « وحدة تاريخية كاملة »[٣٨] ـ كما يقول عبدالله العلايلي[٣٩] ، يتحول إلى تاريخ بأكمله ، تتجرع الأمة على مداره نُغب التهمام أنفاساً ، وإذا ثورته ، قاعدة استنهاض خمينية لا ينضب لها مَعين ، فهي من أيام الله . قال تعالى : ﴿وذكرهم بأيام الله إنَّ في ذلك لآياتٍ لكل صبَّارٍ شكور﴾[٤٠] .

ومن قواعد الاستنهاض الكبرى في مشروع الانبعاث الخميني كانت قاعدة شهر رمضان المبارك « شهر العبادة والبناء ، شهر تجديد القوى المعنوية ، شهر الله الأعظم الذي يتجه فيه كافة المسلمين نحو القدرة الأزلية والإعداد لمواجهة القوى الطاغوتية»[٤١] فإذا الشهر المكرَّم شهر الإستنهاض الفكري والاجتماعي والسياسي في جهاديات الإمام ، يستمد من لياليه وأيامه نفحاتها الروحية ليوجه المسلمين ، وهم في وهج النقاء الوجداني وتساميهم الداخلي ، ليحوِّلها إلى نظام قيم ثورية يشبك قوى الأمة في كيان الدعوة ، ويوحدها « قوة واحدة أمام طواغيت العصر والناهبين الدوليين »[٤٢] ـ على حد تعبيره ـ ، ليهبوا للدفاع عن حمى البلاد الإسلامية ، « ويقطعوا أيدي الخونة وآمالهم »[٤٣] .

من قدسية أيام شهر المكرمات هذا ، استلَّ الإمام يوماً من أَجَلِّ الأيام ـ وهو من أيام القدر ـ ليكون لواحدة من أقدس قضايا المسلمين ، قضية فلسطين ؛ استلَّ ـ بعد الثورة ـ من رمضان يوم آخر جمعة ، واختاره « يوم القدس العالمي » . وفي بيان اعلانه هذا الإختيار التاريخي ، دعا الإمام عامة المسلمين في جميع أرجاء العالم « أن يتحدوا من أجل قطع يد هذا الغاصب

---

(٣٨) الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (م . س) ـ ص/١٢٧ .
(٣٩) العلايلي ، عبدالله ـ « الإمام الحسين » ـ ص/١٦٧ .
(٤٠) سورة إبراهيم ، الآية : ٥ .
(٤١) الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام . . » ـ (م . س) ـ ص/٨٧ .
(٤٢) (م . ن) .
(٤٣) (م . ن) .

[إسرائيل] ومُساعدِيه »[٤٤] ، كما دعا المستضعفين إلى النهوض أيضاً لانقاذ القدس السليب . فيوم القدس هو يوم المشروع الحضاري الإسلامي للعالم ، وَعَيْنا الإمام فيه : عين على المسلمين ، وعين على المستضعفين في الأرض ، فإذا الدنيا وحركة التطور التاريخي والإجتماعي في المشروع الإسلامي بين يديه هما حاصل جمع هاتين القضيتين : قضية الإسلام وقضية المستضعفين . وفي هذا السياق يقول الإمام : « ان يوم القدس يوم عالمي ، وليس يوماً يخص القدس فقط ، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين . . إنه اليوم الذي يجب أن ينهض المستضعفون فيه ، وننهض لانقاذ القدس . . فيوم القدس هو يوم الإسلام ، ويوم احياء الإسلام ، فلا بد من احياء الإسلام وتنفيذ قوانينه وأحكامه »[٤٥] .

ومع عيد الفطر أيضاً يُعيد الإمام الانصهار بين الشكل والمضمون ، وبينهما وبين أصل العيد وحقيقته ، ويسترجع له دوره الروحي الجوهري ، وكونه قاعدة استنهاض وتجديد لعهد المسلمين مع الله وإعلانهم القلبي والعملي لتصميمهم الدائم على الاضطلاع بمسؤولياتهم الإلهية في وجه أعداء الإسلام . فقد « جعل الله تعالى الأول من شوَّال عيداً للمسلمين ليتبينوا فيه طريقهم ومسؤولياتهم تجاه الإسلام ، وتجاه أعدائه الشرسين ، وذلك من خلال اجتماعهم في الصلوات والخطب المناسبة لكل عصر »[٤٦] . ولم تطل مسافة الزمن بين تاريخ هذا القول للإمام سنة ١٣٩٦هـ[٤٧] وبين ذلك الطريق وتلك المسؤوليات ، عندما خرج المسلمون الإيرانيون في طهران بأكبر تظاهرة عرفها تاريخ إيران آنذاك ، وذلك في يوم الفطر سنة ١٣٩٨هـ وقد بلغ عدد المشاركين فيها قرابة المليون ونصف المليون[٤٨] . وكان أن قال الإمام في بيان له بهذه

---

(٤٤) (م . ن) .
(٤٥) (م . ن) - ص/٩٧ - ٩٨ .
(٤٦) الخميني ، الإمام روح الله - « دروس في الجهاد » - (م . س) - ص/٢٠٢ .
(٤٧) أنظر : (م . ن) - ص/٢٠٤ .
(٤٨) أنظر : (م . ن) - ص/٣٧٦ .

المناسبة : « لقد كان يوم الفطر هذا العام عيد البطولة والثورة المتصاعدة لكل قطاعات الشعب الإيراني . . كان يوماً أثبت للعالم النضج الفكري والعملي للشعب . . لقد مارس الشعب الإيراني عبادة قيِّمة أخرى . . من أجل اقامة الحكم الإسلامي العادل ، إذْ أن العمل والسعي من أجل هذا الهدف هما من أعظم العبادات ، وان التضحية في هذا السبيل هي من سيرة الأنبياء العظام ، ولا سيما النبي الأكرم (ص) وسيرة وَصِيِّه القائد العظيم أمير المؤمنين عليه السلام »[٤٩] .

وفاق هذا النهج حَرَّك الإمام الخميني قواعد الاستنهاض مُحَقِّقاً انجازاً فذّاً عندما قاد الاستنهاض إلى نهضة متأججة ، والقوة إلى الفعل ، والمناسبة التاريخية إلى حقيقة واقعة مجسَّدَة ، والمسجد إلى مُفاعل ثوري وحضاري ، والمكان إلى جغرافية شاملة تزحف إلى حدود الدنيا بأسرها متجاوزة كل حدود مصطنعة ، فإذا كل قاعدة من تلكم القواعد تاريخ مستمر ومتجدد في الخطة « المناسبة لكل عصر »[٥٠] وبما يوافق منهج السير إلى الهدف ، وإذا بين كل القواعد وفوقها مسار واحد ، قوامه فكر واحد ، ومشروع حضاري واحد ، وقرار إمامي مركزي واحد ، وعقل إجتهادي لا يجري خارج عروق الإسلام وقنواته قيد أنملة .

إن الحقيقة الهامة التي تتضمنها هذه العبارة الأخيرة للإمام ـ (المناسبة لكل عصر) ـ تؤكد من جديد على شأن تبليغي بالغ الأهمية ، سبقت إشارتنا إليه ، وهي تفرض وجوب اخضاع الفعل التبليغي للظرف التاريخي السائد ولما تقتضيه لوازم الواقع والمناسبة التاريخية لتستقيم نتائج الفعل . « فنجاح أو فشل التبليغ يعتمد على نحو كلي تقريباً على مضمون ومنهج التبليغ في علاقتهما بالوضع التاريخي السائد »[٥١] . ولعل قسماً لا يستهان به من فضائل ونجاحات

---

(٤٩) (م . ن) ـ ص/٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

(٥٠) (م . ن) ص/٢٠٤ .

(٥١) صدِّيقي ، كليم ـ « اطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة الإسلامية في إيران » ـ ص/١٥ ـ ١٦ .

نهضة الإمام الخميني ، يعود إلى حكمة الإمام وحسن تحكمه بحركة الظروف التاريخية والمناسبات التاريخية مُحَوِّلاً إياها إلى قواعد استنهاض معتلياً متنها يقودها إلى ما يجعلها متحققة واقعة ، فأنَّى للعالم بزمانه أن تهجم عليه اللوابس ؟ - وفاق قول الإمام الصادق (ع) .

*****

خاتمة

على مدى هذه القراءة لفكر الاستنهاض الخميني وحركته الصراعية ، استقام الإمام مُتَقَلِّداً نموذج حضارة التوحيد ومتمثلاً نظامها السماوي ، داعياً إلى الحق والعدل والحرية على مبادىء وأسس نظام التكوين ونظام التشريع في الإسلام ، الآيلَيْن إلى التكامل مع مبدأ الوجود كله ، محتذياً خطى الأنبياء الذين ما بُعِثوا إلّا بهدف التسامي بالإنسان « من المحسوس إلى المعقول ، ومن المحدود إلى اللامحدود »(١) . ولم يكن ذلك الاستنهاض إلّا محاكاة لتجربتهم الإنسانية بمستوياتها جميعها . فثار الإمام بالإسلام ، وَلَهُ ، مُسْتَنْقِذاً الأمة ، ناهضاً بها لاسترجاع طليعيتها وخيْرِيَّتِها اللتين اختارهما الله لها إذْ جعلها خير أمة أُخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

بالفكر العقيدي الإلٰهي استنهضَ الإمام وثَوَّر الجوَّاني في الفرد والأمة لتثوير ما حولهما ، مُسْتَرِدّاً إياهما إلى أصالتهما ، وفَجَّر حركتهما المستنهَضة ثورة أقامت دولة فيها « اكتمال » لإحدى الحلقات اللولبية المرتقية بأهل الأرض إلى معارج السماء . لكن هذا الاكتمال مُسْتَدْعٍ في تشكله البنائي جهاداً كدْحِيّاً مستمراً على صعيدَي الفرد والأمة باتجاه الترقّي إلى حلقة أخرى ، من خلال

---

(١) المطهري ، مرتضى ـ « المفهوم التوحيدي للعالم » ـ (م . س) ـ ص/٧٦ .

ممارسة فعل الاستنهاض والثورة الدائب بهدف تكريس انجازات الثورة ، وفي الوقت نفسه « لتصدير » نموذج الاستنهاض والثورة والدولة الناجزة ، وصولاً إلى حلقة لولبية أرقى وأشمل ، وفي جهاد دينامي . . حتى يقوم حكم الله في الأرض ، ويَعُمَّ العالم في نهاية المطاف . وهذا يعني أن فعل الاستنهاض بالدعوة ، والثورة ، والدولة ، فعلٌ دائم ، وجهاد مستمر على أساس جهوزية المشروع الحضاري الإسلامي بأكمله ، وقد تَنَزَّل واجتمع في دليل قرآني وسُنَّويٍّ وإمامي متكامل ، ثوابتَ وشريعةً ونظاماً وأحكاماً ، يقوده الفقهاء المجتهدون المقلَّدون بأعلميتهم وعدلهم وكفايتهم حتى تسليم راية النيادة إلى إمام الزمان (عج) ليملأ الدنيا قسطاً وعدلاً ، بعدما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً ، وفاق الاعتقاد الإسلامي .

وهكذا يكون كُلُّ تَحَقُّقٍ لحلقة لولبية بمثابة استدعاء للحلقة الأعلى ، واشعاعٍ عليها وإضاءة لها . وكأنما الحلقة الأدنى فِعْلُ نور تَقْبِس منه الحلقة الأعلى وتهتدي به ، نوراً على نور ، وإلى عمران الأرض بحكم فاطرها .

على هذا التأسيس الاستراتيجي الدينامي عَمَّرَ الإمام رساليته التبليغية والإحيائية بكل تكليفاتها الثورية ، وبكل لوازمها : بالأهداف والمثل الأعلى ، وبالقيم والقواعد والوسائل ، كما بالمستنهِضين والمستَنهضين، وصولاً إلى تحقيق الحكومة الإسلامية باعتبارها هدفاً مركزياً لا يخدم تحقيقه المسلمين في إيران وحدهم ، ولا المسلمين في العالم وحدهم ، لكنه يخدم أيضاً المستضعفين في الأرض وقضايا الحق والحرية التي يسعون إليها ، بما هي قضايا الإسلام كذلك ، وقد تَنَزَّلَ لها ، كما الأديان السماوية قبله على أساس وحدة الإنسان مع الإنسان ، ووحدة الإنسان مع نظام الكون ، ووحدة الإنسان في الله[٢] .

ولطالما أكَّدَت قراءتنا لخطاب الإمام الإستنهاضي على هذا المنهج الحضاري الشمولي والإنساني المنبثِق من الإسلام ، والمتجسد فيه مشروعاً

---

(٢) شريعتي ، علي ـ « العودة إلى الذات » ـ (م . س) ـ ص/٣٦٧ .

إلهياً ، بعيداً عن أية « محدودية » بشرية تزعم حمل إيديولوجية طرف اجتماعي واحد لتقمع وتقهر بحجته الأطراف الأخرى ، أو تَتَبَنّى ليبرالية تجعل « مبدئية النفع محلّ مبدئية القيم »[٣] .

وإذا كان بعض الاتجاهات الإيديولوجية في حضارة الباطل يرفع شعارات ذات « مضمون » إنساني ، كالحرية والإخاء والمساواة مثلاً ، أو يدعو إلى رفع الظلم والإستغلال الطبقي ، فإنه ، بحساب النوايا الملفقة أو المتوهمة ، قد تهافت وتَكَشفَ عن ممارسة أبشع وسائل القمع العرقي والقومي والديني والحضاري للشعوب المظلومة . فانتهى هذا الفكر الناقصُ المجْتَزَأ إلى ثورات شوهاء ، وبالتالي إلى اقامة دول الطواغيت . و « الأممية » المزعومة التي كان يرفعها البعض شعاراً ، قد أثبتت أنها كانت في حقيقتها « لا أممية » لأنها كانت في أصلها شعار طرف ضد بقية الأطراف من جهة ، كما كانت ـ من جهة أخرى ـ « لا جماهيرية » لحملها فكراً نخبوياً نَسَخَ عذابات ومظلومية البشر واستغلها ، فإذا البشر في خدمة الفكر ، وليس الفكر في خدمتهم . مما يعني تأليهاً ـ (ظرفياً بلا ريب) ـ للفكر ، سرعان ما تداعى وسقط . قال تعالى : ﴿والذين كفروا أعمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيْعَةَ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماء حتى إذا جاءَهُ لم يَجِدْهُ شيئاً وَوَجَدَ الله عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ والله سريعُ الحساب﴾[٤] .

مِنْ فرادة المشروع الحضاري الإنساني للإسلام ، كانت فرادةُ الإمام النموذج الحضاري الإمامي مستنْهِضاً هادياً ، ومرشداً مهتدياً ، وعارفاً إلهياً ، وعابداً معبِّئاً الأمة على خط العبودية الواحدة لله ، ومُحَوِّلاً ثورياً مجدداً ، وداعية إسلامياً سياسياً رَسَّخ « جذور الحكومة الإسلامية في عروق ولحوم وعظام ودماء الأمة الإسلامية »[٥] . بحيث « لا تحيد عنها أبداً ، ولن ترضى بغيرها بدلاً »[٦] ، إذْ أعاد إليها ثقتها بمشروعها الذي نُدِبَت إليه ، وكانت قد تخلّت

---

(٣) (م . ن) ـ ص/٣٦٤ .
(٤) سورة النور ، الآية : ٣٩ .
(٥) الخميني ، الإمام روح الله ـ « جوانب من أفكار الإمام » ـ (م . س) ـ ص/٤٨ .
(٦) (م . ن) .

عنه في غفلة عن ذاتها وفطرتها وتاريخها ، كما أعاد إليها ثقتها بقدرتها وقابلياتها والتزامها بمسؤولياتها الإلٰهية ، بما المسؤولية التزام بين ارادة تابعة وارادة غالبة ، ـ ومطلقة هذه المرة ـ ، فاستفاقت الأمة على يدي إمامها ، والتفّت حوله ، فصارت فيه ، وصار فيها بكيانها الجماعي ، وانصهر كيانه الاعتباري والشخصي فيها فكان بحق « رجلاً في أمة ، وأمة في رجل » ، كما يحلو للكثيرين أن يقولوا عن الأفذاذ في تاريخ الأمم .

لقد توفرت في الإمام الخميني شروط المفكر والقائد الثوري بالمعايير الإسلامية السالفة الذكر ، ومن خلال مكوِّنات منهجية يمكن ايجازها في أمرين :

١ ـ في وعيه المشروع الحضاري الإلٰهي بالإسلام وقراءته قراءةَ المجتهد المتفرد .

٢ ـ وفي حيازة شروط هذه القراءة فكرياً وسياسياً وأخلاقياً ، ومبدأها أن المفكر المسلم الحقيقي لا بد أن يكون مُوْصلاً إلى الحق وإلى الحقيقة باعتباره مترجماً للمشروع الحضاري الإسلامي برمته ، ومُسَيِّلاً له في الحياة والواقع العمليين .

وهكذا لا يعود المفكر الإسلامي مجرد مُتعاطٍ كُتُبِي / مثقف ، بل يتحول إلى قائد سياسي وروحي للأمة ، وإلى مُرَبٍ لها . . بينما السياسي في خطاب حضارة الباطل ليس أكثر من مُدير مَدِيني . . . وأين الزعيم الإجرائي بالمعايير الوضعية من المربي في الله[7]؟ . .

فَكَّك الإمام المشروع الحضاري المضاد من جذوره وأعاد توحيد المسلمين في إيران على أنقاضه ، وزرع في كل أرض إسلامية نواة حركة حضارية نامية باتت اليوم هاجساً يقض مضاجع الطواغيت ، يتوحدون في كل

---

(٧) سليمان ، سمير ـ « قراءة حضارية في الخطاب الحِواري الإسلامي للمطهّري » ـ في : « المطهري . . . العبقري الرسالي ـ أعمال المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى المطهري » ـ ص/٢١٠ ـ ٢١١ .

مكان على مقارعتها ، إذْ لم يعد في العالم اليوم من يقول لهم : « لا » ، سوى صوت الإسلام الذي عاد ، منذ الإمام ، إلى جبهة الهجوم لا الدفاع ، مُسقطاً أصل الثوابت في معادلات العالم المعاصر ، ومُمَنهجاً للأمة الإسلامية كلها مشروعاً استنهاضياً متكاملاً يستحيل - في رأينا - على أية حركة إسلامية في العالم أن تتقدم وتنجح دون الإنخراط في نموذجه ، والإهتداء به ، والإعتبار بدروسه وعِبَرِه ، والإستفادة من غنى تجاربه الكثيرة . وما عودة الاختلاج إلى الحلم بالإنتصار على الظلم وعلى خطوط الاستكبار والكفر ، الذي بدأ يخصف من تحققات مشهودة في شتى بقاع العالم الإسلامي بعد تطاول عصور الذلة والإدمان الهزائم ، سوى بعض من مكرمات هذا العالم الرباني الكبير وفضائله . ولعل تلميذه العبقري مرتضى المطهري لم يبالغ في ذكر خصاله عندما قال : « ذلك المعشوق الذي . . خطابه وروحه المتعالية ووعيه وايمانه هي نعمة أنعمها الله على حياتنا المعاصرة ، وأعني أستاذنا المعظم آية الله العظمى الخميني . . حقاً إنه مصداق حي للحديث الشريف القائل : « إن لله في كل خلق عدولاً ينفون عنه تحريف المبطلين »[٨] .

إن تعميم خطابه في الاستنهاض والثورة هو بمثابة الخدمة الجُلّى التي نُسْديها للإسلام والمسلمين ، وللمستضعفين في الأرض كافة ، ولقضايا الحرية والإستقلال العدالة في كل مكان ، بحيث يبقى أصلاً في فكر كل مجاهد ، ونموذجاً يَتَقَلَّدُ في عمل كل عامل للحق ، ودليل رؤية وهداية يُستمسك به ويُعتَبَر ، فتصبح مسؤولية صونه وحماية خطه مسؤولية وأمانة في أعناق كل الأحرار في العالم ، بعد أن أصبحت نهضة المشروع الحضاري الإسلامي/ الخطاب سمة العصر الحديث . . لقد صَدَقَ الخُبْرُ الخَبَرَ حقاً . . .

ولا نخال الأمة الإسلامية إلاّ خير مُستودَع لخير الأمانات . فالأمم الحرة لا يمكن أن تخون صُنّاع حريتها وقادة نهضتها ومُغَيِّري مسار تاريخها ، ولا يمكن بالتالي أن تعتبر إرثهم الجهادي المجيد عبئاً عليها تتحين الفرص للتملص من

---

(٨) المطهري ، مرتضى - « الحركات الإسلامية . . » - (م . س) - ص/٨٤ .

أعباء التزاماته ، بل شرفاً تليداً تُوَرِّثه وتصـونه مهمـا كلفها من تضحيـات ، فلا يتحول ـ وليس ذاك بكائن ـ بتباعد الأزمنة إلى مجرد لحظة في التاريخ ، أو إلى « مرحلة » من مراحله المتعاقبة .

والسلام على من نهض واستنهض . . .

والسـلام على من ينهض ويستنهض . . **﴿ولتكن منكم أمة يـدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾**[٩] .

---

(٩) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤ .

ثبت المراجع العربية والمعربة

١ ـ ابن أبي طالب ، الإمام علي ـ « نهج البلاغة » ـ تصنيف صبحي الصالح ـ دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ١٩٦٧ .

٢ ـ ابن أبي طالب ، الإمام علي ـ « نهج البلاغة » ـ تصنيف علي أنصاريان ـ انتشارات مفيد ـ طهران ، ١٩٧٨ .

٣ ـ أسد ، محمد ـ « الإسلام على مفترق الطرق » ـ الترجمة العربية ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ، ١٩٨٤ .

٤ ـ توينبي ، آرنولد ـ « تاريخ البشرية » ـ الترجمة العربية ـ الأهلية للنشر والتوزيع ـ بيروت ، ١٩٨٦ .

٥ ـ جعفري ، محمد تقي ـ « الإنسان كما تطرحه مسألة التبليغ الإسلامي » ـ الترجمة العربية ـ المؤتمر السابع للفكر الإسلامي ، طهران ، ١٩٨٩ .

٦ ـ حسين ، محمد علي ـ « الإسلام يقاوم » ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٢هـ .

٧ ـ الحسيني ، مهدي ـ « القيادة في الحكومة الإسلامية » ـ دار المشرق العربي الكبير ـ لبنان ، البحرين ، الكويت ، الإمارات العربية ، ١٩٧٨ .

٨ ـ خليل ، عماد الدين ـ « التفسير الإسلامي للتاريخ » ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ، ١٩٧٥ .

٩ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « مناسك الحج » ـ الترجمة العربية ـ مؤسسة الإرشاد الإسلامي ـ بيروت ـ (د . ت) .

١٠ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « كتاب البيع » ـ الجزء الثاني ـ مؤسسة الفلاح ـ بيروت ، ١٩٨٥ .

١١ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « الجهاد الأكبر » ـ الترجمة العربية ـ الدار الإسلامية ـ بيروت ، ١٣٩٩هـ .

١٢ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « مختارات من أقوال الإمام الخميني » ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٢هـ .

١٣ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « الآداب المعنوية للصلاة » ـ الترجمة العربية ـ طلاس للدراسات والترجمة والنشر ـ دمشق ، ١٩٨٤ .

١٤ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « دروس في الجهاد » ـ الترجمة العربية ـ منشورات فلسطين المحتلة ـ إيران ، ١٣٩٨هـ .

١٥ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « الحكومة الإسلامية » ـ (د . ذ . م . ت . ط) .

١٦ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « جوانب من أفكار الإمام الخميني » ـ الترجمة العربية ـ طهران ، (د . ذ . ت . ط) .

١٧ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « توجيهات الإمام الخميني إلى المسلمين » ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٣هـ .

١٨ ـ الخميني ، الإمام روح الله ـ « صحيفة الثورة الإسلامية ـ نص الوصية السياسية للإمام الخميني » ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ـ (د . ت) .

١٩ ـ رهبر ، حجة الإسلام ـ « نظرة في البعد المعنوي للثورة الإسلامية في

إيران » ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٣هـ .

٢٠ ـ سليمان ، سمير ـ «الإسلام واشكالية المنهج في الخطاب المعرفي الغربي» ـ مجلة العرفان ـ بيروت ـ العدد/ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ، ١٤٠٨هـ .

٢١ ـ سليمان ، سمير ـ « خطاب العلم والتوحيد ـ قراءة في خطاب العلم الإلهي من خلال نهج البلاغة » ـ مجلة المنطلق ـ بيروت ـ العدد/ ٣٥ .

٢٢ ـ سليمان ، سمير ـ في « أعمال المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى مطهري » ـ دمشق ، ١٩٩١ .

٢٣ ـ سليمان ، سمير ـ « الأندلس والغرب ـ صراع النموذجين الحضاريين وبدايات الاستشراق » ـ مجلة العرفان ـ بيروت ـ العدد ٥/ ٦ ـ أيار/ حزيران ، ١٩٨٦ .

٢٤ ـ سليمان ، سمير ـ « خطاب العلم في القرآن » ـ مجلة « الثقافة الإسلامية » ـ دمشق ـ العدد/ ٥ ، ١٩٨٦ .

٢٥ ـ شريعتي ، علي ـ « العودة إلى الذات » ـ الترجمة العربية ـ دار الزهراء ـ القاهرة .

٢٦ ـ شريعتي ، علي ـ « الإنسان ، الإسلام ومدارس الغرب » ـ الترجمة العربية ـ دار الصحف للنشر ـ طهران ـ ١٤١١هـ .

٢٧ ـ شريعتي ، علي ـ « الأمة والإمامة » ـ الترجمة العربية ـ مؤسسة الكتاب الثقافية ، (د . ذ . م . ط) ـ ١٣٦٧هـ .

٢٨ ـ الشيرازي ، صدر الدين ـ « الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة » ـ دار احياء التراث العربي ـ بيروت ، ١٩٨١ .

٢٩ ـ الصدر ، محمد باقر ـ « الإسلام يقود الحياة » ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٣هـ .

٣٠ ـ الصدر ، محمد باقر ـ « مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن » ـ دار التوجيه الإسلامي ، بيروت ـ كويت ، ١٩٨٠ .

٣١ ـ صدِّيقي ، عبد الحليم ـ « تفسير التاريخ » ـ الترجمة العربية ـ دار القلم ـ الكويت ، ١٩٨٠ .

٣٢ ـ صدِّيقي ، كليم ـ « إطار مفهومي للتبليغ الذي تقوم به الدولة الإسلامية في إيران » ـ المؤتمر السابع للفكر الإسلامي ـ طهران ، ١٩٨٩ .

٣٣ ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الإسلام ومتطلبات التغيير الإجتماعي » ـ الترجمة العربية ـ المكتبة الإسلامية الكبرى ـ طهران ، ١٤٠١هـ .

٣٤ ـ الطباطبائي ، محمد حسين ـ « الميزان في تفسير القرآن » ـ مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ، ١٩٧٢ .

٣٥ ـ عبد الغفور ، عبد الرؤوف ـ « دراسات في علم النفس الإسلامي » ـ القسم الأول ـ مركز الاعلام الإسلامي ـ إيران ، ١٤٠٤هـ .

٣٦ ـ العلايلي ، عبدالله ـ « الإمام الحسين » ـ دار مكتبة التربية ـ بيروت ، ١٩٨٦ .

٣٧ ـ المطهري ، مرتضى ـ « الحركات الإسلامية في القرن الرابع عشر الهجري » ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٢هـ . ق .

٣٨ ـ المطهري ، مرتضى ـ « نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ » ـ الترجمة العربية ـ دار التيار الجديد ـ بيروت ـ (د . ت) .

٣٩ ـ المطهري ، مرتضى ـ « مقالات حول الثورة الإسلامية في إيران » ـ الترجمة العربية ـ وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٢هـ .

٤٠ ـ المطهري ، مرتضى ـ « المفهوم التوحيدي للعالم » ـ الترجمة العربية ـ دار التيار الجديد ـ بيروت ، ١٩٨٥ .

٤١ ـ المطهري ، مرتضى ـ « الهدف السامي للحياة الإنسانية » ـ الترجمة العربية ـ منظمة الإعلام الإسلامي ـ طهران ، ١٤٠٣هـ .

٤٢ ـ المطهري ، مرتضى ـ « مفاهيم إسلامية » ـ الرقم/٣ ـ الترجمة العربية ـ

دار الكتاب الإسلامي ـ بيروت ، ١٩٨٣ .

٤٣ ـ المطهري ، مرتضى ـ « الإسلام وإيران » ـ الترجمة العربية ـ دار التعارف ـ بيروت ، (د . ت) .

٤٤ ـ المطهري ، مرتضى ـ « مبدأ الاجتهاد في الإسلام » ـ الترجمة العربية ـ مؤسسة البعثة ـ طهران ، ١٤٥٧ش .

٤٥ ـ مؤنس ، حسين ـ « المساجد » ـ سلسلة « عالم المعرفة » ـ رقم/٣٣ ـ الكويت ، ١٩٨١ .

مراجع باللغات الأجنبية

46 - GARAUDY, Roger- Appel aux vivants- seuil- Paris, 1979.

47 - PELLEGRIN, Arthur- Lp' Islam dams le monde- Payot, Paris, 1950.

48 - RONDOT, Pierre- Lp'Islam- Prismes, Paris, 1965.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
من مقدمة ناشر الطبعة الأولى	٥
تمهيد	٧

القسم الأول

الفصل الأول: الحضارة والنموذج الحضاري	١٩
تاريخ الحضارات وصراع النموذجين الحضاريين	٢٢
الفصل الثاني : الإمام وصراع النموذجين الحضاريين	٣٣
الإمام والمشروع الحضاري الإسلامي	٤٠

القسم الثاني

تمهيد	٥٣
الفصل الثالث : قضية الإستنهاض وأهدافه	٦١
الفصل الرابع : ايمان الإمام بقضية الاستنهاض وأهدافها	٧١
الفصل الخامس : المستنهضون	٨١
أ ـ المشروع الإسلامي وملامح الهجر والجهل	٨١
ب ـ جبهة الإستنهاض الأولى	٨٨
جـ ـ جبهة الإستنهاض الثانية	٩٧

الموضوع . . . . **الصفحة**

د ـ جبهة الإستنهاض الثالثة ١٠٤

الفصل السادس : المستنهضون ١١١

الفصل السابع : قواعد الاسلام والاستنهاض ١٣١

خاتمة ١٤٥

ثبت المراجع العربية والمعربة ١٥١

مراجع باللغات الأجنبية ١٥٧

الفهرس ١٥٩

دار الوسيلة للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ١/٨٢٣٥٨٠ - ص.ب.: ٢٥/٢٧٥ - حارة حريك - بيروت